

مراثي وشعبيات



# يُؤْبَاهُ السَّجْدَةُ

بفلم  
شرياً توفيق

0165078



Bibliotheca Alexandrina







مزالق و شخصيات

كليلة و دمنتم

بنام: ثريا توفيق



إهداء

إلى أرواح أولئك الذين  
استشهدوا من أجل مصر



بہن بطالیموس وقصر





حين قسمت أملاك الاسكندر الأكبر «المقدوني» كانت مصر من نصيب بطليموس صديقه واحد قواده قام بحكمها باسم خليفته .. ولكنه منذ اللحظة الأولى عول على الاحتفاظ بها لنفسه واقتطاعها من نفوذ مقدونيا . وأخذ يعمل على جمع السلطان بين يديه حتى استقل بها نهائيا وأصبح ملكا مستقلا عليها .

وقد حكمت أسرته البلاد من بعده مدى قرنين ونصف القرن من الزمان . وكان حكم البطالة في أول الأمر هينا حكيما ولكن ملوكهم انقلبوا مستهترين فيما بعد .

ولم يكن البطالة مصريين بل كانوا مقدونيين لم تجر في عروقهم قطرة دم مصرية واحدة . وكانت عاصمتهم . الاسكندرية . مدينة يونانية أكثر منها مدينة مصرية . فكانت مبانها ومعابدها مقامة على الطراز اليوناني . وكانت الروح اليونانية تسودها . وكان الزى اليوناني شائعا بها كما كانت اللغة اليونانية فيها هي لغة الحديث .

ولقد حمل البطالة القاب الفراعنة وارتدوا زيهم الرسمي في الحفلات الرسمية . بل وتقربوا الى المصريين بأن قدموا القرايين لمعبوداتهم . وساعموا في تشييد أو تجديد معابدهم . ولكنهم برغم ذلك كله لم يندمجوا في المصريين اندماجا يخرجهم عن أصلهم المقدوني .

وصفحات تاريخ البطالة - إذا نحن استثنينا الثلاثة الأول - حافلة بالمساويء ، ماطخة بالآثام ، مسودة بجرائم القتل الدنيئة ، مما لا يتفق والروح المصرية المسالة الوادعة .

فبطليموس الرابع مثلا قتل أباه بطليموس الثالث . كما دير في الوقت ذاته مقتل أخيه ماجاس وعمه ليزمك وأمه برنيس وزوجه إرسينويه .

أما بطليموس الخامس فكان يقتل كل من يراه عدوا له . وما أكثر أعداء أصحاب النفوذ ..

أما بطليموس الثامن فقد قتل ابن أخيه وريث العرش وتزوج من أم القتيل الملكة الأرملة كليوباترة الثانية التي أنجبت له طفلا مشكوكا في أبوته فقتله وأرسل جثته إلى أمه ثم تزوج على أثر ذلك من ابنة أخيه كليوباترة الثالثة التي قتلت كليوباترة الثانية حين ترملت . كما حاولت أن تقتل ابنها بطليموس التاسع الذي اعتلى العرش فقتلها قبل أن تقضى عليه .

أما بطليموس العاشر فقد انتزعت أمه بعيدا عن العرش ووضعت بطليموس الحادي عشر مكانه . ولكن هذا الأخير قتلها .

أما بطليموس الثاني عشر فقد قتل زوج أبيه بعد أن تزوج منها هو نفسه ثم قتل فيما بعد .

حتى بطليموس الثالث عشر والد كيلوباترة العظيمة ( السابعة ) فقد قتل ابنته بريسيس كما قتل أشخاصا آخرين .

وهكذا نرى أن البطالة جميعا - باستثناء الثلاثة الأول - ارتكبوا من المخازي والجرائم ما ينزل بهم عن مستوى الآدميين . وبرغم أنهم أدوا خدمات جليلة للعلوم والفنون وسجلوا للاسكندرية في عهدهم عصرا ذهبيا في نواح كثيرة ، إلا أن حياتهم الشخصية المليئة بالمبازل والمجون والحلاعة والفجور تصم أسرتهن بوصمة لا تمحى .

- ٣ -

كان لبطليموس العاشر ابنان غير شرعيين ربما كانا من كليوباترة الرابعة التي طلقت من أبيهما عند ولايته للعرش .

وبعد موت بطليموس الثاني عشر نصب أحدهما نفسه ملكا على البلاد تحت اسم بطليموس الثالث عشر . وكان أرشد الذكور في الأسرة . غرضي به السكندريون ملكا . . ولم يكونوا يملكون غير ذلك فان رفضهم أياه كان معناه قبولهم لمبدأ انقطاع خط الأسرة واحتلال الرومان للبلاد .

وحين اعتلى بطليموس الثالث عشر عرش البلاد اتضح له أن بطليموس الثاني عشر كان قد أوصى بأن تصبح روما وريثة له . وبعد محاولات لم تخل من المعارضات العنيفة - والرشوة - قبل الرومان النصح الجديد . فبقى بطليموس الثالث عشر على عرش مصر وإن لم يعترف به رسميا . وكان دائم القلق على عرشه . فأغرق همومه في

الخمر والموسيقى . ثم رأى ان يزور روما واستدان الاموال ليرشو شيوخها ... ولكن ابنته بريس الرابعة اعتلت العرش في غيبته ، وهي ابنته من زوجته السابقة كليوباترة الخامسة . وكان بالقصر اربعة اطفال من زوجة اخرى من بينهم اثنان اعتليا العرش تحت اسم بطليموس الرابع عشر والخامس عشر . وثلاثة هي ارسينويه التاسعة . ورابعة هي كليوباترة السابعة التي ولدت في شتاء ٦٩ - ٦٨ ق م والتي كانت تبلغ اذ ذاك الحادية عشرة من عمرها .

وارسل السكندريون بعثة لخلع الملك . ولكن افرادها الذين لم يقبلوا الرشوة قتلوا عن آخرهم . وانتقل الملك بعد ذلك الى انفس . ثم حاول بومبي في يناير سنة ٥٥ ق.م بعد ثلاث سنوات ان يساعد في العودة الى العرش . فخشى شيوخ روما من نفوذ بومبي ومن وقوع مصر تحت سلطانه كثر لذلك ... وعرض بطليموس ما يعادل مليونين ونصف المليون من الجنيهات ثمنا لمملكته . ووجد جيشا لغزوها ولكن بريس الرابعة كانت قد تزوجت من ارخاليوس ... وسار الجيش من غزة الى الفرما وكان على رأس الفرسان شاب يدعى مارك أنطوار فسقطت الفرما في يده . ثم تقدم نحو الاسكندرية وقتل ارخاليوس . وهكذا استعاد اوليت ( بطليموس ) عرشه وقتل بريس الرابعة ... وبقي بالاسكندرية عدد من الجنود الكلت والجرمان ليحافظوا على النظام . وكانت كليوباترة اذ ذاك في الرابعة عشرة من عمرها . ويقال : انها فتنت في فجر شبابها قائد الفرسان بسحرها وجاذبيتها . ولعل هذا الحادث كان يمر دون ان يثير انتباهها . لولا اثره الحاسم في حوادث المستقبل .

- ٣ -

مات بطليموس اوليت ( او بطليموس الزمار ) عام ٥١ ق م قبل اد بجنى ثمار جهاده تاركا وراءه اربعة اطفال اكبرهم كليوباترة في الثامنة عشرة من عمرها . وكانت تليها اختها ارسينويه التي تمتتها ثم طفل في العاشرة او الحادية عشرة وهو الذي اصبح فيما بعد بطليموس الرابع عشر . ثم طفل آخر في السابعة وهو الذي اصبح فيما بعد بطليموس الخامس عشر .

وترك بطليموس الثالث عشر وصية من نسختين تركت الاولى بين يدى بومبي في روما . وبقيت الاخرى في الاسكندرية . وقد اوصى بزواج

أرشد البنات بأرشد البنين . وأوصى بالرومان أوصياء على العرش . .  
وامتازت الوصية بروح من القلق ربما كان ماتها وجود أربعة من الذكور  
والإناث وهى من أخطر الأمور فى بلاط مثل بلاط البطالة .

وكان معنى اشتراك كليوباترة مع بطليموس الصغير فى الحكم أن  
تزوج منه . ولكن يظهر أن هذا الأمر عدل عنه مؤقتا لصغر سن الملك .

أما بطليموس الرابع عشر فقد وضع تحت رعاية الخصي يوثينوس  
وكان له مرب يونانى هو ثيودوتوس ورائد حريمى هو اخيلاس المصرى  
قائد جيوش القصر .

وتقلد هذا الثالث السلطان . وبدءوا يجمعون النفوذ فى أيديهم  
ويظهر أن رجال كليوباترة كانوا أقل منهم نفوذا . ورغم أن السلطات  
الملكية كانت تودى عن طريقها . إلا أن حكام البلاد الحقيقيين كانوا فى هذه  
الفترة الأوصياء الثلاثة .

وفى عام ٤٨ ق.م بلغت كليوباترة العادية والعشرين من عمرها وبلغ  
أخوها الرابعة عشرة من عمره . . . ولا نعرف أى الأحداث وقعت فى هذه  
الفترة . ولكننا نرى بطليموس الصغير ينفرد بحكم البلاد . يستنده  
الأوصياء الثلاثة . . ونرى كليوباترة تفر خشية على حياتها الى سورية  
حيث تجهز جيشا ويقف بطليموس ملك مصر بجيشه على الحدود  
الشرقية لمنع اخته من العودة الى بلادها .

#### ٤ -

وفى الثامن والعشرين من سبتمبر عام ٤٨ ق.م رست مركب تحمل  
بومبى المفزوم وذوجه كورنيليا . . وكان بومبى حامى عرش البطالة ورمز  
روما وسلطانها لدى السكندريين فى حين كان خصمه يوليوس قيصر نكرة  
لا يعرفون عنه كثيرا أو قليلا .

وقد رأى الأوصياء قتل بومبى وانتقدوا اخيلاس لاحتضاره . وحين  
رسا المركب وهم بومبى بالنزول طعنه أحد الرجال فى ظهره ثم هاجمه  
سلفيوس واخيلاس . ولم ينس بومبى بيت شقة بل تاوه قليلا ثم غطى  
وجهه بعباءته وسقط الى قاع القارب حيث مات .

وكانت زوجة على ظهر مركبها ترقب الحادث . فندت عن صدرها

صرخة اليمّة سمعت في الشاطئ . وامرت بمركبها أن ترحل في الوقت الذي كانت تحمل فيه رأس بومبي الى بطليموس .

وبعد ثلاثة أيام وصل قيصر في مطاردته لبومبي الى الاسكندرية .  
وعلم بمصير خصمه . فلما قدمت له رأسه وخاتمه بكى .

وخرج ثيودونوس ( المقاتل ) مبهوتا وفر لينجو بعمره وظل مشردا في سورية وآسيا الصغرى حتى عرفه بروتس بعد مقتل قيصر فقبله .  
أما قيصر فأمر بإرسال الرماد المتخلف من جثة خصمه الى زوجه كوريليا .  
ثم ظلل بحمايته اعوان بومبي الذين كان قد أودعهم المصريون السجون .

وبقي قيصر في الاسكندرية بعض الوقت في القصر . في الوقت الذي لم يكن به سوى بطليموس الصغير وأرسينويه . وكأننا أراد أن تمر فترة قبل أن يموذ الى روما بعد مقتل بومبي الذي كان الرومان يحبونه على كل حال . أما السكندريون فقد رأوا في بقاء قيصر أصعب روما الفليظ فأناروا الشغب وقتلوا عددا من أجناده فأرسل في طلب مدد من آسيا الصغرى . ولما استقر الأمر أرسل رسولا الى روما ينبئ بموت بومبي كما أرسل رسلا الى بطليموس وكليوباترة في الفرما يدعوهما لإيقاف الحرب والحضور للاسكندرية ليمرضا عليه أمرهما . وكان يرى ذلك حقا من حقوقه . فان أباهما ترك روما وصية عليهما وهو - بعد مقتل بومبي - صاحب الحق الاول في أن يتفدها كما يرى .

وفد لبى بطليموس دعوته فورا فحضر الى الاسكندرية بصحبه وزيره بونينوس وترك أخيلاس على رأس الجيش في الفرما واستضافهما قيصر في قصرهما . وطالب الى بطليموس أن يشرح جيشه ولم يرض بونينوس بذلك بل أرسل الى أخيلاس يطلب اليه الحضور بجنوده الى الاسكندرية . فلما سمع قيصر بذلك طلب الى بطليموس أن يبقى أخيلاس مكانه ولكن الرسولين لم يصلا فقتل احدهما وجرح الآخر . ووصل أخيلاس الى العاصمة بجيش عدته عشرون الفا من المشاة والفرسان من الفرمان . ولم يقلق ذلك الأمر قيصر فقد كان في حوزته بطليموس الملك وبطليموس الصغير وأرسينويه وبونينوس . وكان البحر أمامه وبه سفنه يستطيع أن يهرب فيها اذا أدلهم الخطب .

ولم يكن قيصر يستطيع ان يبت في الأمر دون قدوم كليوباترة .  
فهي الطرف الثاني في النزاع . وهي من ناحيتها لم تجبر على أن تسلم أخيلاس زماعها . ولذا فكرت في أن تصل الى الحكم في قصره . فانتقلت

بحرا من الفرما الى الاسكندرية ومعها مستشارها الامين ابولودور الصقلى  
وانتظرت حتى دخل الليل فأمرته أن يلفها فى بعض الاغطية وأن يضع  
حبلا حول اللقافة .. ولما كانت صغيرة الجسم فانها لم تكن حملا ثقيلا  
على كاهل ابولودور .. والواقع أن خروج رجل ومتاعه فوق كتفه من  
الميناء كان أمرا عاديا لا يستلفت الأنظار .. ولا بد أن قيصر تملكته الحيرة  
والعجب حين فتحت هذه اللقافة أمامه .. ولابد أنه قدر ذكاء الحيلة وهذه  
العبقرية ..

ولنا أن نخيلها تنفجر ضاحكة من مغامرتها التى فتحت لها قلبه  
كما فتحه جمالها ..

واستمرت سواد الليل تحكى قصتها مذ خرجت هائمة على وجهها  
فى عتمة الليل هاربة من مملكتها ... وكان يصفى لها بشفء وربما  
يحب وليد .

— ٥ —

كانت كليبواترة فى الحادية والعشرين من عمرها عذراء لم تتناولها  
اللسنة بسوء . وكان كل هما أن تصون ملكها وأن تحكم شعبها  
وكانت زوجة عذراء لم ترض بزوجها الطفل فنجته بعيدا عنها وشغلت  
بفسها بما هو اسمى .. حبها لمرشها .

ولنا أن نخيلها فتاة ضئيلة الجسم لها أنف يونانى وبشرة بيضاء  
لوحشتها شمس الشرق .. وفم ذو تكوين كأنها نحتة نحات وعينان  
واسعتان تحت حاجبين مقرونيين وخذ وذقن كاملا الاستدارة . ولعل أفن  
ما كانت تمتاز به نبرات صوتها . فقد كان لها صوت أخلا . وبرغم أنها  
لم تكن تمتاز بجمال ساحر فانها وهبت جاذبية عنيفة تضطر جليسمها  
الى أن يحبها ويحبها .

ولقد كان ذلك الصوت سلاحا قويا فيه حلاوة وفيه قوة وسحر  
يدفعان المرء الى الاصفاء اليها . ولقد أحسنت دائما استغلال هذا  
السلاح وساعدها على ذلك تعمقها فى العلوم والفنون وروحها المرحية  
وميلها للدعابة .. كانت تعلم اذن قوة تأثير مواهبها التى حبتها بها الطبيعة  
فأحسنت استغلالها .

أما قيصر فكان رجلا يكبرها كثيرا .. له سمعة من الناحية الجنسية

لم يذكرها احد المؤرخين بخير .. فقد اشتهر بافساد زوجات وبنات  
اصدقائه ، بل كانت سمعته السيئة في هذا المضمار مما لا يصدق العقل .  
وكان اغراؤه للعذارى مضرب الأمثال .. وكان لا يرعى حرمة لصديق  
او قريب .

## ٦ -

حين اسنفر قيصر للمرة الاولى في القصر الملكي بعد مقتل بومبي كان  
يرمى أولا الى كسب بعض الوقت حتى يخف اثر عبودته على نفوس  
الرومان . ولكن عاملا آخر . هو هذه الملكة الشابة التي الهبت خياله  
وربما اوجت بمنح عدة في افق مستقبله تدخل في المساعدة على ارجاء  
عودته وربما رأت في عينيه في تلك الليلة رغبة ملحة فيها من الناحيتين  
العاطفية والسياسية . ورأى من ناحيته أن اخضاع هذه المرأة لحبه  
يحقق امر ارتباط مصر - مخزن حبوب العالم - بروما ويضعها تحت  
نموذجها . وهي اهم سوق تجارية في البحر الابيض . والعامل الاول في  
شئون الشرق السياسية وبوابة ممالكه العظيمة .

وكليوباترة هي بعد امرأة جديدة لا خبرة لها باساليب المحنكين  
امثال قيصر . فهي ان رضخت « فاتما المرأة فيها هي التي ترضخ  
وتستلين » وان استجابت فانما العاطفة هي التي تسيرها لا يدعمها عقل  
او بعد نظر .

وقبل ان تتسلل الى غرفتهما اشعة شمس مصر المشرقة كان الرجل  
قد وعدها ان يرد اليها عرشها ... ولما طلع النهار ارسل في طلب  
بطليموس الذي صمق عند رؤية اخته بجوار قيصر . وقد اشتد عليه  
قيصر في اللوم لعدم انفاذ وصية ابيه . فخرج من الغرفة ثائرا محنقا  
والقى الشعار الملكي على الأرض وانفجر باكيا . ثم عقد قيصر اجتماعا  
آخر حضره بطليموس كما حضرته كليوباترة . وقرأ فيه قيصر الوصية  
التي تركها أبوهما والتي نص فيها على أن يحكما معا . وبين أن من حقه  
كممثل لروما أن يشرف على انفاذها بنفسه .

ولا شك أن بطليموس قد قدر منذ هذه اللحظة أن أماله قد  
تحولت الى رماد ما دام قد قبل أن يبقى تحت رعاية اخته . أما كليوباترة  
التي كانت شاردة منذ ساعات قلائل فلم تصبح ملكة مصر فحسب .  
بل كسبت قلب ذلك العاهل الكبير .

واراد قيصر ان يرضى المصريين فوهب مصر قبرص التى كانت قد سُلخت منها ايام بطليموس اوليت وملك عليهما بطليموس الصغير وأرسينويه . ثم تحبب الى المصريين ابعد من ذلك فخفض الديون التى استدانها اوليت لتثبيت عرشه الى ما يعادل ٤٠٠.٠٠٠ جتية فى مقابل نصف الدين ولكن برغم ضالة هذا المبلغ فان مكاييد بونثيوس ابت الا ان يسحب الاطباق الذهبية الملكية واوانى المعابد الذهبية ويستبدلها بفخار واخشاب . واذاغ ذلك فى المصريين حتى يشترهم ولم يتردد فى ان يقدم للجند الرومان احط انواع الحبوب . وان يجابه قيصر بأنه خير له ان يبيع نفسه من التدخل فى شئون مصر ما دامت هناك أمور تستدعى عودته الى روما . ثم تأمر مع اخيلاس فأحرق الاسطول وامتدت النار الى بعض المباني فى الميناء . ويقال ان جانباً من مكتبة الاسكندرية قد دمره ذلك الحريق .

وخشى قيصر على حياته فاستولى على منارة الاسكندرية كى يؤمن مدخل الميناء حتى يجد مخرجاً له فى الوقت المناسب . ولكن مكائد بونثيوس لم تكن مما يشغل باله كثيراً . فقد كان هدفه لكثير من ألوان الانتقام وبرغم ذلك نراه يحكم حباله حول الملكة الضابة ويظهر انه لم يبذل جهداً كبيراً فى هذه الناحية فقد أحست من ناحيتها بحب له . فهذا أول رجل قوى تقابله . وهو رجل كفيل باشباع كل رغباتها . وأحست بلذة الحب الأول . كما رأى قيصر فيها — وهو رجل فى أواسط العمر — فتاة : ملء برديها حيوية وشباب وجاذبية واغراء . وبرغم أن قيصر لم يكن فى سن الشباب الا أنه كان محباً مثالياً . فملاصق وجهه الدقيقة وهيئته الرياضية الرشيقة ومغامراته الحربية والعاطفية السابقة . كل هذه كانت كفيلة باغواء ابة امرأة فضلاء على فتاة ساذجة يطرق الحب باب قلبها للمرة الاولى .

وكان قيصر فى هذه الفترة بعيداً عن المشكلات والمشاغل وفضى رما طولاً يلعو ويمرح . وحين جاءه النبأ فى ٢٥ من أكتوبر انه نصب دكتاتوراً لعام ٤٨ ق.م احس انه لم يعد هناك ما يقلقه ... وفى الوقت الذى كان بطليموس التمس يتعثر وراء الستار كان قيصر وكليوباترة يظهران معاً دائماً يلعو وجهيهما البشر والسرور. اما قيصر فلم يكن هناك ما يكثر له فى قليل أو كثير من وراء هذه العلاقة . وأما كليوباترة فكانت امرأة مبتدئة ليست بعيدة النظر ولا تقدر العواقب وتخشاها . وبرغم أنها



كانت الزوجة الشرعية لبطيحوس إلا ان الزوجية لم تكن قد تمت بينهما بالمعنى المفهوم .

## ٧ -

وحدث حادث او حادثان ضايقاها وقتا ما .

اما الاول فهو هرب الاميرة ارسينويه مع مربيها جانيميد الذى فر بها الى صفوف المصريين ليتوجها ملكة فى الوقت الذى كان اخوها واختها اشبه بالأسرى فى معسكر الرومان بالقصر الملكى . . وقد قدمت ارسينويه الرشى الى الضباط والموظفين ولكن النزاع اتصل بين جانيميد واخيلاس وانتهى بمقتل الاخير . وكان قبل موته على اتصال ببوثينوس يدبران مكيدة لقتل قيصر وتهرب بطليموس من القصر قبل ان تستولى ارسينويه وجانيميد على زمام الامور . وقد ادلى حلاق قيصر لمولاه بهذه المعلومات فقبض على بوثينوس فى ليلة حافلة وقطعت رأسه كما فعل مع بومبى من قبل . وهكذا شرب من الكأس التى جرمها غيره .

اما الحادث الثانى فكان تسميم قنوات المياه . ولكنه تغلب على هذه العقبة . وجاءته الأنباء بالامداد من الرجال والمتاد فحطم البقية الباقية من المقاومة فى الميناء واصبح بذلك سيد الموقف لولا ان عناد المصريين كثيرا ما كان يكلفه عددا من خيرة رجاله بل كاد يكلفه يوما حياته لولا ان قفز من قاربه الى الماء وسبح الى البر وهو يرفع فوق الماء بعض الاوراق الهامة ونوبه الحربى القرمزى بين أسنانه . والتقطته احدى سفينه واعادته الى القصر مقرورا بعد ان فقد وشاحه الذى يحمل شعاراته .

والواقع ان قيصر لم يكن يرغب فى الاسراع للعودة الى روما فقد كان ذلك مستطاعا ومأمونا فى اى وقت . وكان زمام الامور متروكا فى يد امينة هى يد رجله انطوان . وكان يفضل ان يقضى الشتاء فى مصر . كما لم يكن هناك ما يقلقه من ناحية الغرب فاطمأنه هناك قد انتهت . وربما كانت هزيمته فى معركة القوارب حافزا له على الانتقام من الاسكندرية . ويظهر انه علم ان جيشا كبيرا يسير من سورية عبر الصحراء لمعاونته بقيادة تريادس ورأى ان هذا الجيش كفيل باخماد كل مقاومة وبإخضاع مصر له وهكذا يمكنه ان يترك الامور فى يد كليوباترة التى تصبج بذلك ملكة البلاد فتدين له بكل شيء .

ولقد فشلت أرسينوية في أن تنصب نفسها ملكة على مصر برغم جهود جانيמיד ، وكان الجيش يبذل قصارى جهده ليعمل تحت لواء بطليموس ولذا رأى قيصر أن يسلمه لهم حتى يمكنه أن يشهر حربا على ملك لا على قطعة من الرعاع وحتى لا يصبح ذلك الطفل عبءا في سبيل تنفيذ اغراضه لمصلحة كليوباترة .

والواقع أن قيصر لم يسلمهم بطليموس الا حين وصل الجيش - جيش متریادس - فهو انما سلمه للموت او الهزيمة او العار .. وقد قدر بطليموس ذلك تماما فحين طلب اليه قيصر ان يذهب الى احد اصدقائه وراء خطوط الرومان انفجر الصبي باكيا والتمس أن يسقى بالقصر - وكان يعلم أن لا أمل هناك في النصر كما كان يعلم أنه سيعاقب عند الهزيمة كعدو - ولم يكثر قيصر بدموع الصبي بل دفعه الى احضان الاسكندرئين المتلهفة ولم يبق بالقصر سوى بطليموس الصغير وكليوباترة .

وخرج بطليموس على رأس جيوشه لقتال متریادس وخرج قيصر بأسطوله الى الشرق كأنما يقصد لقاء أموانه . ولكنه غير طريقه ونزل الى غرب الاسكندرية وسار في الصحراء الغربية في الوقت الذي كان المدد اليه آتيا من الشرق . فتقابلوا في مكان لا يبعد كثيرا عن شمال منف وحصرا فيما بينهما الملك الصغير الذي تحصن عند طرف تل على احد جانبيه فرع من فروع النيل وعلى الجانب الآخر مستنقع وامامه قناة .. وبعد معركة استمرت يومين انتصر قيصر وحليفه ودارت الدائرة على بطليموس . فقفز الى احد القوارب المليئة بالرجال فاتقلب القارب وغرق الملك . ويقال انه أمكن تمييز جثته فيما بعد بشارتها الملكية . وقد ساعدت حليبه الذهبية على التعجيل بوفاته . وقد أراح موته قيصر من تنفيذ وصية أوليت ومن اخذ بطليموس اسرا الى روما وانفاذ العقوبة المحتومة فيه .

وفي السابع والعشرين من مارس عام ٤٧ ق.م دخل قيصر مدينة الاسكندرية منتصرا ولبس سكانها الحداد . وارسلوا اليه الرسل يلتمسون رحمته ومغفرته . واحضروا تماثيل آلهتهم توكيدا لخضوعهم المطلق . كما سلموه أرسينويه وجانيמיד كاسرى حرب ودخل الى القصر الملكي ممتطيا صهوة جواده . واخذته كليوباترة بين احضانها كبطل فاتح .. كمنقذ لها .. كحبيب عاد اليها بعد غياب .

كان موت بطليموس وخضوع الاسكندرية لقيصر مؤذنا بانتهاء الحرب فاستقر قيصر بالقصر . وكان بطليموس الصغير طفلا في الحادية عشرة من عمره . ولم يكن ندا لقيصر أو كليوباترة . وكان من المتوقع ان يعود قيصر الى روما في نوفمبر . ولكن شهورا طويلة مضت ولم يحاول التفكير في الرحيل بل ربما كان مدار الحديث في خلواته مع الملكة الغائبة كنوز مصر وارضها الفنية ومواردها التي لاتنفد وتجارة الهند . واثيوبيا . وربما دفعته هذه الاحاديث الى ان يطيل مكثه الى جانب الملكة ليستقى منها ما يريد من معلومات الى جانب متعته بالبقاء معها . يضاف الى ذلك ان امرا آخر منعه من الرحيل . ذلك ان كليوباترة سوف تصبح اما فقد امضى في مصر اكثر من سبعة شهور وها هي ذى ثمرة اقامته بالقصر توشك ان تأتي الى العالم . ولا بد ان موقفه بالنسبة لهذه المرأة يختلف كثيرا عن موقفه مع غيرها من النساء اللاتي عرفهن من قبل . فان كليوباترة قد أمكتها ان تحتفظ به هذه الشهور الطوال فالأت من طبعه واستجاب لعاطفتها واصبح يأمل ان يرى ثمره علاقته بها . وهي بعد ملكة وليست امرأة من عامة الشعب .

ولقد وافق على ان يعترف به المصريون زوجا لهيا للملكة بتجسد فيه جوبيتر - آمون بعد موت بطليموس الرابع عشر وساعدت على ذلك دعاية كليوباترة من ان قيصر هو اله مصر الاكبر الذي أتى الى العالم وأن الطفل المنتظر كان ثمره ذلك الاتحاد الالهي . وقد مثلت على حوائط المعابد المصرية وبخاصة في أرمنت رسوم بارزة وغائرة تمثلها على اتصال بالاله آمون الذي يظهر في شكله الانساني وتظهر الالهة كأنما تساعد في عملية ميلاد الطفل . والواقع ان مثل هذا الامر اثير من قبل عند مولد حتشبسوت وأمنمحتب الثالث حين كانت الأبوة الملكية موضع جدل فاضطروا الى ادخال العنصر الالهي فيها . . وفي حالة كليوباترة هذه يرى العقول المصرية مستعدة لقبول الفكرة وكانت الحوادث تزخر فيما بعد في السنين الأخيرة من حكم الملكة - من تاريخ هذه الظاهرة النادرة فيقولون مثلا « السنة العشرون من ارتباط كليوباترة بآمون » .

وسر قيصر ان يعرف في مصر كاله كما تم مع الاسكندر وكان يفخر دائما بنسبه الالهي وكانت عائلته تتناسل من قينوس عن طريق انجيس فانانس . . وكانت كليوباترة في نظر المصريين الهيا فزوجها اله حين يتم اتصاله بها رسميا . ولقد أفلحت كليوباترة ففتت أحلامه وأشبعته

غروره وجعلته الها مثلها وأصبح هذا الوهم حقيقة ثابتة لديه بمرور الزمن حتى حين عاد الى روما .

ولقد عرف قيصر في مصر كملك وأن لم يتزوج وكان المصريون مستعدين ليمنحوه عرش البطالة كما فعلوا مع أرخيلوس حين تزوج من برنيس الرابعة . ولم يكن هناك شيء يدخل السرور الى قلوبهم أكثر من زواج ملكهم بأقوى رجل في روما . . اما كليوباترة وقيصر فلا بد أن الخيال راودهما كثيرا لتحقيق أمنية تقوية مصر وحكمها بعيدة عن نفوذ روما . . ولقد كانت وطنية مخلصة تقدر مصلحة وطنها وأسرتها . ولقد رأت أن الرجل الذي أحبه وأحبها سيصبح سيد روما وأملاكها . وأن الطفل الذي سيأتي كثمرة لعلاقتهم سيصبح وريث ملك العالم . ولقد أمضت أسرتها السنين الطوال تخشى أن تمتد اليها براثن روما . . أما الآن فهناك أمل يتزايد في أن تصبح صنوا لروما . وكانت تطمح في أن تصبح هناك امبراطورية مصرية رومانية .

ولهذا فإن سياستها كانت واضحة فكانت تقوى في نفس قيصر الأطماع نحو الملكية وتحاول أن ترتبط به برباط يرفعها معه الى عرش العالم وأن تملا عليه وقته حتى يحس بعظمتها وعلو قدرها . وأن توحى اليه بأنه لا يستطيع بدونها أن يرقى الى حكم العالم وهي الشمس أخت القمر المساوية لفينوس ولالهة الأولمب . التي سيصبح نسلها ملوك الارض والسماء . . . وكان لها من شخصيتها القوية ونفوذها ما ساعدها على ذلك .

ولقد كان قيصر من أصل نبيل ولكنه لا ينحدر من سلالة الالهة مثلها . ومادام الملوك يؤيدون سلطاتهم عن طريق الحق الالهي فإن في كليوباترة مايكمل هذه الناحية التي تنقصه .

ورأى قيصر أن يقوم بجولة في البلاد في رحلة نيالية على فلك يحيط به . . ٤٠ قارب وكانت المركب الملكية كبيرة الحجم جدا بها ابهاء ذوات عمد وبها صالونات وغرف للجولس والنسوم وهياكل لفينوس وديونيزوس وكانت مصنوعة من الارز ومطلية برفائق الذهب وكان أثناءها يونانيا مانعا عرفة المائدة فقد كانت على الطراز المصري . ومر المركب بمنف في طريقه الى طيبة التي نقل منها مسلة الى الاسكندرية . . واستمر المسوكب الى أسوان بعد سيره أربعة أو خمسة أسابيع من الاسكندرية ثم عاود طريقه الى الاسكندرية بعد أن أشبع قيصر رغبته من رؤية البلاد والسؤال عن

الطرق التجارية الى برنيس والهند وبناتا وأثيوبيا .. ووصل المركب الى  
القصر الملكي فى أواخر يونيو .

ووضعت كليوباترة وليدها فى الاسبوع الاول من يوليو وكان ذكرا  
تقبله المصريون كامين شرعى لارتباط الملكة بالاله آمون فى صورة قيصر  
- وسمى قيصرون وعرف رسميا باسم بطليموس السادس عشر وسمى  
فى التصوص المصرية « بطليموس المسمى قيصر » .

وهنا فكر قيصر فى العودة الى روما حيث تنتظره أحداث جمة .  
فهذه بارثيا يجب أن يخضعها ثم عليه أن يفكر فى غزو الهند .. وحين  
يجد الجد سيعلن زواجه من ملكة مصر وسيربط بلادها بروما ويعلن  
نفسه ملكا على العالم ... ولقد كان من الممكن أن تتحقق أحلامه لو لم  
يسجل أعداؤه بقتله .

ويتهم المؤرخون قيصر بأنه أضع تسعة شهور فى مصر بغير طائل ..  
والواقع انه كان يؤسس فى هذه الفترة امبراطورية رومانية ... ولقد  
عاقبت قيامها خناجر أعدائه ولكنها فكرته واصلتها كليوباترة مع أنطون ..  
ثم اتحما أوكتافيوس .



بین قیصر و انظران





عاد فيصر الى روما بعد أن مر في طريقه بانطاكية وانفسى ثم زبلا حيث اخمد تورة كانت قد قامت بها . ولكنه لم يمكث في روما طويلا بل غادرها الى شمال افريقية ليحطم البقية الباقية من فلول يومى الذين كانوا قد بدءوا بتجمعون . ثم عاد مرة أخرى الى روما فوصل في الخامس والعشرين من شهر يولية عام ٤٦ ق.م وبدأ الاستعدادات لموكب النصر في الشهر التالي . ويظهر أنه ارسل الى كليوباترة يطلب اليها ان تحضر الى روما مع ولدتهما .

وقد وصلت الملكة في رأي بعض المؤرخين خلال النصر وفي رأى البعض الآخر بعده بفترة قصيرة . ونرجح أنها ذهبت الى روما بصحبة الاسرى المصريين ليلهبوا دورهم في الموكب وهم الاميرة ارسينويه والخصى جلايميد وغيرهم .

ولنا ان نتخيل اية رجة احدثتها وصول الملكة المصرية . فهذه عربات محملة بالبضائع ثم خصيان وعبيد يعلنون اقتراب مرورها وآخرون ينهمونها وهذا اخوها بطليموس الخامس عثر خشيته ان تتركه بالاسكندرية فيفعل ما فعله غيره من اسلافها ويعلن استقلاله بالبلاد . اصطحبته معها فزاد في زينة الموكب وغرابته . ثم هذا الطفل البالغ من العمر عاما واحدا وريث القياصرة والبطالة محوطة بحرسه ومربياته لا بد انه استلقت الانظار . اذ ان كل رومانى حدى ابوته . . وقد استغرت كليوباترة في بيت اتيق على ضفة النهر اليمنى في حين كانت زوجه كالبورنيا تعيش في منزل آخر داخل المدينة .

ولم يعد ما بين كليوباترة وقصر عاطفة جامعة اساسها الرغبة والاشتهاء بل مصلحة مشتركة . ولقد كانت الزوجية قائمة وكانا يرغبان اعلانها في روما كما اعلنت في مصر .

ولقد اثار وصول كليوباترة الى روما فضيحة لم يكرث لها قيصر

كعادته . وكان الرومان يرون لكالبورنيا زوجة الدكتاتور الشرعية التي هجرها منذ زواجهما عام ٥٩ ق.م .

اما موكب النصر الذي احتفل به قيصر في اغسطس لتسليمه روما فقد استمر اربعة ايام . . وممر قيصر في اليوم الاول في شوارع روما في مظهره قناصر للغال . وعندما دخل الليل صعد الى الكابيتول على ضوء المشاعل وحول عربته اربعون فيلا - يحملون حملة المشاعل . وفي نهاية الاستعراض قتل فرسينجتوركس الذي ظل سجيناً مدى ست سنوات . وقد كان ذلك عملاً قاسياً ضد عدو نبيل سلم نفسه لقيصر ليفتدي اهل بلده . . وكان من العدالة ان يعفى عنه لولا تقاليد الموكب .

اما اليوم الثاني فكان يوم الاحتفال بالنصر على المصريين وفي هذا الموكب اقتيدت ارسينويه مكبلة بالاعلال وكذا جانيميد . اما الاولى فلم تقتل اكراما لكليوباترة . واما الثاني فقد نفذت فيه العقوبة وحملت في هذا الموكب صور اخيلاس وبوثينوس كما حمل تمثال ثيولوس القديم ونموذج للمنارة - عجيبة الدنيا - وسارت في الموكب حيوانات غريبة لم ترها روما من قبل مثل الزرافة وكذا غرائب مصر واثيوبيا .

اما اليوم الثالث فقد مثل فيه فتح بونتاس . .

واما اليوم الرابع والاخير فكان خاصا بانتصارات شمالي افريقية .

وفي نهاية سبتمبر اثار قيصر الشعور مرة اخرى في روما بان كرس معبدا فخما لفينوس جنتريكس جدته المؤله . ووضع فيه تمثالا لكليوباترة كان قد نحتته المثال ارخيلاوس . وكان لوضع تمثال كليوباترة مفزاه وكانما اراد قيصر ان يظهر للرومان ان هذه الملكة الشابة التي تزين قصره على ضفاف النيبير ليست اقل شأنا من فينوس . فهي ايزيس امروديت في بلادها . وكانما اراد ان يعتبرها الرومان الها صغيرا وهو اللقب الذي اطلق عليها من المصريين واليونانيين في مصر .

ولقد صحبت تدشين المعبد - هيكل كليوباترة - ولائم فاخرة واستعراضات فذة منها ما يمثل معارك تدار على صفحة بحيرة صناعية . ولكن وضع تمثال كليوباترة لم يثر نقدا . فان روما كانت تحب الالهة الاجانب « السماوية او المتجسدة » . وكان اقربها اليهم ايزيس التي كانت - كفينوس - تتقمص كليوباترة والتي استمر تقديسها في العقيدة الرومانية شائما وبخاصة بين الطبقات الدنيا . وحين وضع في عام ٥٨ ق.م .

قانون يحرم إقامة معابد أخرى في مكان معين من المدينة لم يقدم رجل واحد على تقض حجر من معبد إيزيس مما دفع القنصل تولياس أن يفعل ذلك بنفسه .

وكان الشعب قد بدأ يهيل المجد فوق قيصر فلم يكثر لوجود مشيئة أجنبية معه في روما قد تصبح زوجة له . فلقد كان الرومان خليطا من أجناس متعددة فلا يضربهم أن يتزوج زعيمهم من سيدة يونانية . ولكن الشعب الذي لم يكن متوقفا من الشعب ، كان من المتوقع أن تثيره طبقة معينة من الناس تربص بقيصر وتحقد عليه وتكيد له . ولكنه مضى قدما يحاول الإصلاحات المختلفة فاستعان ببعض الفلكيين السكندريين الذين قرروا بعد دراسة طويلة أن عام ٤٦ ق.م يجب أن يمتد ١٥ شهرا أو ٤٤٥ يوما حتى يصبح التاريخ الاسمي متمشيا مع الفصل الحقيقي من السنة . ومن هنا كان التقويم اليوناني الذي لولاه لكنا نستعمل نوعا آخر من الشهور في العالم كله .

ثم غادر البلاد للقضاء على ثورة قام بها أبناء بومبي في أسبانيا عام ٤٥ ق.م فأخمدوها بعد أن نصب دكتاتورا لمام آخر وأراد أن يظهر الوانا من التسامح فأمر بتمائيل بومبي العظيم أن يعاد وضعها . ثم عفا عن الكثيرين من قواده ولم يبنهم بروتس وكاسيناس ثم استقر في روما ليستعد للقيام بحملة إلى الشرق . إلى الهند . ولم يفته في هذه الفترة أن ينشد الإصلاحات الإدارية .

- ٢ -

استقرت الأمور لقيصر وبدأ الرومان يخلعون عليه القاب الشرق فممن قنصلا مدى عشر سنوات وكان الحديث الدائر أنه سيصيب دكتاتورا مدى الحياة . وأصبح مجلس الشيوخ العوبة في يديه . وأصبح الناس يتحدثون ملاية عن قرب ارتقائه العرش وكان من الواضح أنه كان يسعى لتتصب نفسه ملكا إلى جانب كليوباترة . وأن ينقل العاصمة إلى الإسكندرية وموقعها ممتاز على موقع روما . ولكنه اكتفى بأن يطلق عليه لقب امبراطور وكان معناه اذ ذلك «القائد» وهو لقب وراثي كان من الطبيعي أن يأخذه عنه ابنه قيصرون . ولغظت الألسن بأن قانونا على وشك الظهور سوف يمكنه من الاعتراف بزوجتين له . هما كليوباترة وكالبيورنيا . وأنه ليس من الضروري أن تكون زوجة الثانية رومانية .

وكان قيصرن قد أصبح ملسكا غير متزوج على مصر فان بطليموس الخامس عشر اختفى من المسرح ولا ندرى أمات أم قتل . وان ذكر احد المؤرخين ان اخته سمته . . وهو أمر يحتمل الكثير من الشك .

وقد بدأ قيصر يباشر مظاهر الملكية فأمر بأن يوضع له تمثال الى جانب تماثيل ملوك روما السبعة الاقدمين وظهر في زى مطرز مثل حكام اليا الاقدمين وطبع صورته على العملة ومنح عرشا ذهبيا يجلس عليه بين الشيوخ . وحمل صولجا من العاج . ولبس اكليلا من الذهب وركب عربة ملكية يحرسها الشيوخ والنبلاء . ومنح الحق في ان يدفن داخل اسوار المدينة .

مثل هذه الامتيازات اذا اضفناها الى مظاهر الملكية والى لقب امبراطور والدكتاتورية مدى الحياة التى كانت على وشك ان ينالها فان هذه المظاهر كلها كان هدفها قريبا . وقد سارع باعلان نفسه الها . ووضع له تمثال في معبد كيرينوس كتب تحته «الاله الازلي» .

وفى نهاية عام ٤٥ ق.م وبدء عام ٤٤ ق.م لم يعد هناك مجال للشك في انه سوف يعتلى العرش وكان الخلاف في تحديد الموعد ايسبق حملة الشرق ام ياتي بعدها . وفى الخامس عشر من فبراير عين دكتاتورا مدى الحياة مما ضيق المسافة بين حالته الراهنة والملكية الحقيقية . واصبح يعامل الشيوخ معاملة الرئيس لرعوسيه وكان يود ان يأخذ الناس اقواله كقانون يطاع . وبدأت كراهية الرومان لكليوباترة وحاشيتها تزداد يوما بعد الآخر لانه عهد للسكندريين بكل شيء حتى الشئون المالية وترتيب الحفلات وفن المعمار .

ومرت الاسابيع وبدأت فكرة تعلقه بالملكية تتضح جليا مما اثار الحقد في كثير من النفوس . . ولما رأى الثمرة لم تنضج بعد . تركها ونفسه تفيض حسرة . وقد اشاع موقف كليوباترة في نفسه الكثير من القلق فهى قد اتته بوريت لم تتمكن كالبورنيا من الاتيان بمثلها . ولكن لم يكن من السهل التخلص من كالبورنيا لاعلان زواجه من كليوباترة التى كان يشك في قدرتها على تحمل اعباء الحكم مدى غيابه بعيدا عن روما لثلاث سنوات ولا بد ان تمهله في خلق عرش يتبوؤه معها لما بعد انتهاء حربه مع البارثيين . اثار قلقها ، فهى قد عملت معه ثلاث سنوات من اجل تحقيق هذا الامل الذى كان معنى ضياعه ابتلاع مصر في جوف الامبراطورية الرومانية .

وكان يقام عيد لوبركاس في الخامس عشر من فبراير كل عام وكان الرومان يقدمون ولأهم في ذلك اليوم للوبركاس الذي يعرفونه مرة بـ «فاونوس» وأخرى بـ «بان» في صورته كمصدر للخصب . ويختلر في هذا اليوم رجلان يضحيان كلبا وعنزة ثم يقطعان جلد الذبيحة الى شرائط تستعمل أسواط وتسمى «فبروا» ويجريان حول المدينة يضريان النساء اللواتي يقابلنهما وكانت ضربة السوط تؤدي اثرها المطلوب فتحمل المرأة على الفور . وكان قيصر يشرف على حفلة العيد من عرشه الذهبي . وكان أنطوان أحد الرجلين اللذين يحملان « الفبروا » . ولا بد أنه قدم خضوعه لقيصر ثم تقدم نحوه يحمل شعار الملك مكللا بالغار ويعرض عليه ملك روما فارتفعت الاصوات بالموافقة من القيصريين المنتشرين في أنحاء الفورم ولكن الشعب لم يرددها فاضطر قيصر أن يرفض التاج بقلب نصف محطم . . واستقبل الناس هذا العمل بعاصفة من التصفيق وهكذا ظهر شعور الشعب بجلاء . ثم عاد أنطوان فقدم التاج مرة أخرى . . ومرة أخرى سمعت التحيات المصطنعة . . ومرة أخرى رفضه قيصر فتعالى الهتاف أكثر من ذي قبل . فامر بنقل الشعار الى الكابيتول وان يكتب في النتيجة الرسمية ما يثبت انه في ذلك التاريخ عرض عليه الشعب التاج فرفضه .

وكانت حملة بارثيا تستعد للرحيل بعد شهر . ولا بد ان قيصر طلب الى كليونباترة أن تجهز نفسها للرحيل الى مصر حتى ينتهي من حملته . ولا بد انها بدأت تحزم حاجاتها والحزن بخترمها من أجل تلك الآمال التي يابى القدر الا أن يطيل فيها وتأبى الظروف الا أن ترجئها.

- ٢ -

لم يفسح قيصر صدره لأنطوان برغم أنه كان معروفا أنه من أشد الدعاة له . وقد رأيناه في عيد لوبركاس يعرض التاج عليه . وقد اتهم أنطوان بأنه يتآمر على حياة قيصر مع دولابلا ( الذي كان قد أغرى زوجته أنطوان فطلعتها ليتزوجها دولابلا ) . ولكن قيصر لم يعر الاشارة اهتماما فقد كان لا يخشى الرجل الطرير بل النحيف مثل كاسيوس . . وكان كاسيوس قد حارب في فرساليا ضد قيصر ولكن قيصر عفا عنه . وكان بكونه كل الوان الاثرتوقراطية وقد أثارته رغبة قيصر في ايجاد عرش . وربما كان هو منظم المؤامرة التي انتهت بمقتل قيصر .

نبتت بذور المؤامرة في فبراير عام ٤٤ ق.م وقد اشتدت خيوطها حين انضم بروتس الى المتآمرين وكان يتمتع بكثير من التقدير وبمعطف الدكتاتور وكان ينظر اليه كخليفته وربما كان سبب ذلك أنه كان يشك في أنه ابنه . . فقد عرف قيصر سرفيليا أم بروتس قبل ولادة بروتس واستمرت علاقته بها بعد ذلك . . وهناك ما يدعو مثلاً لاثارة بروتس ضد قيصر فقد كان خاله كاتو أباً لزوجته بورشيا . وكاتو قد اقتحر عقب هزيمة قيصر له في شمالي افريقية . وهناك كذلك ما يجب بروتس في قيصر فقد كان قيصر اداة الانتقام من بومبي الذي حكم على والد بروتس بالموت . ولكن بروتاس كانت له مثله العليا فلم يسمح يوماً للشئون العائلية وللعواطف أن تطغى على ادراكه واحساسه الوطني . قاضوا أمه وقتل خاله وحميه لم يمنعه جميعاً من أن يأتي أمورا ما كان يأتيها لو كان متأثراً بمثل هذه الأحداث . ولذا نراه يتقدم في الوقت المناسب لمسكر بومبي الذي يتقبله كما يتقبل خروفاً كان ضالاً فوجده . . ثم جاءت معركة فارصاليا ونجا بروتس بصعوبة برغم أن أوامر قيصر كانت صريحة في ألا يمسه أحد بسوء في المعركة أو بعدها . . وقد كتب لقيصر من لاريسا بعد المعركة يعلن استعداده للتسليم . . وعفا عنه قيصر فأهال عليه ألقاب الشرف . . . . . وحينئذ أرشد بروتس عن مقر بومبي ومن هنا كان وصول الدكتاتور الى مصر صبيحة ذلك اليوم الذي اسلفنا الإشارة اليه .

كان بروتس شاباً متوقد الذكاء وكانت تشيع فيه الحيوية وحرية الرأي والصرامة . ورأى كاسيوس أن وجوده في المؤامرة يضيف اليها عنصراً قوياً . . فدعاه ليكون حاضراً في يوم مارس الذي اشيع أن قيصر سيتوج ملكاً فيه . فقال انه سيكون متفانياً في ذلك اليوم فطلب اليه كاسيوس ان يبدى رأيه فيما اذا امر قيصر على حضوره . فذكر انه سوف يدلي برأيه بصراحة وسيبوت من أجل حرية بلاده . وهكذا لم يعد من الصعب اشراكه في عصبة السفاكين وبدأ المتآمرون يضعون اوراقاً على حقيقى» . و «لو كان بروتس حياً» . وقد لعبت الكلمات في نفسه كرسى بروتس فيها الكلمات « تيقظ يا بروتس » و « أنت لست بروتس وكان لها اثرها الحاسم حتى قرر بروتاس بعد أيام ان من واجبه أن يقضى على حياة قيصر .

نبئت بذور المؤامرة في فبراير عام ٤٤ ق.م وقد اشتدت خيوطها حين انضم بروتس الى المتآمرين وكان يتمتع بكثير من التقدير وبمطغ الدكتاتور وكان ينظر اليه كخليفته وربما كان سبب ذلك أنه كان يشك في أنه ابنه . . فقد عرف قيصر سرفيليا أم بروتس قبل ولادة بروتس واستمرت علاقته بها بعد ذلك . . وهناك ما يدعو مثالا لاثارة بروتس ضد قيصر فقد كان خاله كاتو أبا لزوجته بورشيا . وكاتو قد انتحر عقب هزيمة قيصر له في شمالي افريقية . وهناك كذلك ما يحجب بروتس في قيصر فقد كان قيصر أداة الانتقام من بومبي الذي حكم على والد بروتس بالموت . ولكن بروتاس كانت له مثله العليا فلم يسمح يوما للشئون العائلية وللعواطف أن تطفئ على ادراكه واحساسه الوطني . فاغواء أمه وقتل خاله وحبيه لم يمنعه جميعا من أن يأتي أمورا ماكان يأتيها لو كان متأثرا بمثل هذه الأحداث . ولذا نراه يتقدم في الوقت المناسب لمسكر بومبي الذي يتقبله كما يتقبل خروفا كان ضالا فوجهه . . ثم جاءت معركة فارساليا ونجا بروتس بصعوبة رغم أن أوامر قيصر كانت صريحة في ألا يمسسه أحد بسوء في المعركة أو بعدها . . وقد كتب لقيصر من لاريسا بعد المعركة يعلن استعداده للتسليم . . وعفا عنه قيصر فأحال عليه القاب الشرف . . . . . وحينئذ أرشد بروتس عن مقر بومبي ومن هنا كان وصول الدكتاتور الى مصر صبيحة ذلك اليوم الذي أسلفنا الإشارة اليه .

كان بروتس شابا متوقد الذكاء وكانت تشجيع فيه الحيوية وحرية الرأي والصرامة . ورأى كاسياس أن وجوده في المؤامرة يضيف اليها عنصرا قويا . . فدعاه ليكون حاضرا في يوم مارس الذي أشيع أن قيصر سينوج ملكا فيه . فقال انه سيكون متغيبا في ذلك اليوم فطلب اليه كاسياس أن يبدى رايه فيما اذا أصر قيصر على حضوره . فذكر أنه سوف يدلي برأيه بصراحة وسيموت من أجل حرية بلاده . وهكذا لم يصد من الصعب اشراكه في عصبة السفاكين وبدا المتآمرون يضعون أوراقا على حقيقى» . و «لو كان بروتس حيا» . وقد لعبت الكلمات في نفسه كرسى بروتس فيها الكلمات « تيقظ يا بروتس » و « أنت لست بروتس وكان لها اثرها الحاسم حتى قرر بروتاس بعد أيام أن من واجبه أن يقضى على حياة قيصر .

الشيوخ في ذلك اليوم . وكان هذا معناه في نظرهم أنه أحبط علما بالمؤامرة . وبلغ قلقهم حدا دفعهم الى أن يرسلوا دسيموس يروتس البينوس صديق الدكتاتور المقرب ليسرع في الحضور . وقده وجهه دسيموس يستعد لتأجيل اجتماعه بالشيوخ بعد أن أثارته مخاوف كالبورنيا . وهنا يقال ان دسيموس ذكر له أن حضوره لا مناص منه مادام الشيوخ يودون أن يعرضوا عليه ذلك اليوم ملك روما خارج إيطاليا ويخولونه حق وضع الشعار الملكي خارج إيطاليا . وأنه ليس من الانصاف أن يقض الاجتماع من أجل مخاوف امرأة . وليس من شك في أن هذا الحديث حول مجرى أفكاره اذ رأى الفرصة التي طالما ترقبها تواتيه . . وأول الفيت قطر . . وسوف يؤسس لنفسه عاصمة وسيمزج أملاكه بأملاك كليوباترة وسيرنه أكتانيوس في روما ويقصرون في أملاكه خارج روما . وسيدفع ارتقاؤه روما الى الاعتراف به ملكا عليها وهنا سوف لا تمتص روما مصر بل ستتعاون معها وسيسر هذا العمل كليوباترة التي ظلت أسرتها تخشى دهرًا كاملا غائلة الرومان .

وليس من شك في أن هذه الأفكار رلودته فسحب دسيموس الى خارج البيت وانطلق نحو الشيوخ يحدوه الأمل . . وحاول رجلان في الطريق أحدهما خادم والآخر مدرس منطق أن ينبثا بالخطر الذي يتهدده . وكررت له العرافة تشاؤمها من ذلك اليوم ولكن الاطماع كانت قد خدرت أعصابه . وكان حديث الاخطار مما يدفعه للعمل .

وظل المتآمرون قلقين وقتا طويلا فقد علموا أن نبا المؤامرة تسرب الى غيرهم فهذا بوبيلياس ليئا يعرف أمرها . وهذه بورشيا قد أصيبت بنوبة وخشوا أن تكشف في هذيانها اللثام عن المؤامرة . ولم يفرغ روعهم حتى راوا قيصر قادما من بعيد ومعه بوبيلياس ليئا . ورئى وهو يتحدث الى قيصر وقيصر ينصت اليه مليا ثم ينصرف عنه . . وقد عن للمتآمرين يعطلوا انطوان عن مركب قيصر فلم يكن من رأيهم أن يفتالوه . ولذا أرسدوا له تريبناس ليتحدث اليه عند الباب .

— ٥ —

دخل قيصر الى البناء فقام الشيوخ وقوا . . وحين جلس قيصر تقدم أحد المتآمرين وهو تولياس صميمير يلتمس الصفيح عن أخيه المتفى وسرعان ما دار حوله الباقون وضيّقوا الحناق حتى أمرهم قيصر أن يفسحوا قليلا . ويظهر أنه اشتتم رائحة العداة فقام واقفا على قدميه ولكن تولياس سارع



مرفع عبادة قيصر عنه وبقي جسم قيصر عازيا الا من نوب خفيف .. وهنا اسرع كاسكا ( الذي كان قيصر قد رفعه الى مرتبة أعلى منذ زمن قريب ) فأغمد خنجره بين الكتفين فصرخ قيصر في وجهه « ايها المجرم كاسكا . ماذا فعلت ؟ » - وهنا طعنه شقيق كاسكا في جنبه .. أما كاسياس الذي أنقذ قيصر حياته في فرساليا فقد طعنه في وجهه .. وأما بوكوليناس فدفن سكينه بين لوحى كتفه . وأما دسيموس بروتس الذي شجعه على القبول للقاء الشيوخ فطعنه في الترقوة وأصبح قيصر يكافح من أجل حياته كحيوان يرىء يضرب يمنة ويسرة . وتفيض منه الدماء وهو يحاول أن يخترق النطاق الذى ضرب حوله من الخناجر نحو قاعدة تمثال عدوه القديم بومبي .. وحين أمسك ذراع كاسكا مرة أخرى رأى حبيبته ماركوس بروتس يتقدم نحوه شاهرا خنجره فصاح حتى أنت يا بروتس . ابني .. ثم خر الى الأرض وهنا جثمت فوقه قطعة القتلة يطعنون جثمانه وهو يتخبط فى بركة من الدماء . وحين تيقنوا أن الحياة قد فارقت جسده توجهوا نحو الشيوخ ولكنهم وجدوا الأعضاء يهرولون من المبنى . وكان بروتس قد جهز خطبته يتلوها فلم يجد أحدا يسمح اليه .. وتغير المتآمرون ماذا يفعلون فخرجوا يرددون الحرية والجمهورية .. وكان كل انسان يهرب من طريقهم .. حتى أنطوان .. خوفا على حياته .. وأخيرا استقروا فى الكابيتول حتى دعاهم عدد من الشيوخ الى الفورم حيث خاطب بروتس الجموع فاستمعوا له . ولكن حين بدأ « سسنا » يتحدث فيتهم القتل . طارد الشعب المتآمرين الى الكابيتول حيث قضوا ليلتهم .. وحين دخل الليل أخذ أنطوان طريقه الى الفورم حيث نفل جثمان قيصر . وهناك قابل كالبورنيا التى عهلت اليه بكل المستندات والأشياء الثمينة .

وعقد اجتماع فى اليوم التالى بناء على اقتراحه .. ووفق على أن تفتح وصية قيصر ومن العجيب أن القتل أوصى لكل روماني بثلاثمائة دانق ومنح الممتلكات العامة أراضيه وحدائقه على شاطئ التيبر الآخر حيث تقم كليوناترة . ومنح أوكتافىوس ثلاثة أرباع ما بقي من ضياعه وقسم الربع الباقي بين ابني أخته لوكيئاس بيناربوس وكوينتوس بيدىوس . وأوصى أوكتافىوس بالوراثة الرسمية وعين أوصياء على ابنة اذا ولد له ابن بعد موته .

واستمرت الجثة فى الفورم خمسة أيام وحدد ميعاد الجنازة فى العشرين من مارس . وذهب أنطوان فى المساء الى الفورم حيث رأى الجموع تبكى حول الجثة والجنود يحملون دروعهم متلاصقة والنسوة يصرخن .. وهنا بدأ أنطوان ينشد نثاء فى قيصر ويمد يديه بين الوقت

والأحر تم بنفجر باكيا . . . وفي هذه الفترات كان الشعب يردد فقرات الرثية ويتغنى بجملة اكبوس المشهورة « لقد انتقلت من دفعوني الى التهلكة » ثم رفع أنطوان الملابس التي مزقتها الحناجر فوق رمح وبدأ مرثيته الشهيرة فوق جسد الدكتاتور . . . وحين ذكر للناس هبة قيصر لهم انفجر الشعب غضبا منددا بالانتقام وتذكر واحد منهم حديث سنا بالامس وسرعان ما طالبوا بدمه وكان هناك شاعر صغير - لسوء حظه - اسمه سنا . فلما ناداه أحد معارفه باسمه ظن الناس أنه المقصود فهجموا عليه وقطعوا مفاصله للتو . . ثم حملوا المقاعد والموائد وأشعلوها ووضعوا فوقها جثمان الدكتاتور . . وحين بدأت النيران تتمدد أشعلوا منها مشاعلهم ليحرقوا بيوت المتآمرين . واجتمع الشيوخ في اليوم التالي ليعبدوا المتآمرين في بلاد قصبة حيث قلدوا وظائف أخرى . . أما شئون العاصمة فتركزت بين يدي أنطوان .

- ٦ -

لم نفقد كليوباترة بموت فيصر أعز أصدقائها وحبيبها الأول بحسب بل فقدت بموته المملكة العظيمة التي كان قد وعدها بها . . فأصبحت بعد موته امرأة فوق عرش مقلقل .

وربما لجأت في هذه الحيرة الى أنطوان الذي كان يتحكم في الموقف . وربما استعطفته ليؤازر حقوق ابنها . فانه اذا لم يعترف العالم بشرعية مولد قيصرون فربما ضاع منه عرش مصر كذلك . أما اذا اعترف به كأبن لقيصر فربما أمكن ازاحة اكتافيوس من الطريق . . وكان اكتافيوس بعيدا . فإذا لم يصل فإن الأمر يصعب في يد كليوباترة . وربما فكر أنطوان في أن حضور اكتافيوس قد يحجبه هو الآخر وأن الاعتراف بالطفل قد ينقل كل السلطان اليه .

ويظهر انه حرض كليوباترة على البقاء في روما . ثم أعلن في الشيوخ أن قيصر اعترف بقيصرون ابنا شرعيا . ولكن أويباس عارض ذلك . وكان دولا بلا قنصلا في روما ولم تكن علاقته بأنطوان حسنة . كما أظهر عدائه لأصدقاء الدكتاتور بمختلف الوسائل . وكان قيصر قبل موته قد أوصى بسورية لدولا بلا وبمقدونيا لأنطوان . ولكن الشيوخ رأوا أن يعطوا مقدونيا وسورية لبروتس وكاسيوس معا ليخلصا روما من قتلة الدكتاتور . . وبدأ الرجلان يجهزان جيوشا ليدخلا البلاد التي كانت

من نصيبها فدفع هذا أنطون ودولابلا الى أن يتحدا لبحثا عن وسيلة  
لخلع بروتس وكاسياس .

ووصلت الانباء بقرب عودة اكتافيوس الذى كان فى التاسعة عشرة  
من عمره . فالتقسمت المدينة الى حزبين أحدهما فى صف اكتافيوس  
والآخر فى صف أنطون ... وخيف شر حرب أهلية ونصحت كليوباترة  
أن تغادر روما فمادت الى بلادها بين اليأس والأمل . وكانت ترى زوجها  
نجما متألعا فى السماء يدعوها لان تبذل جهدها لتتم جهاده وتحقق  
أطماعه ... ذلك الزوج الذى أصبح الها بين الالهة والذى صار شابا  
يضىء السماء سبعة أيام متوالية حتى رأى الناس فيه الدكتاتور القتل  
مندفعا نحو السماء . وبدأ كسوف الشمس يزداد باقترب قيصر المؤله .  
ورات الكهنة والموظفين قبل مفادرتها لروما يسمونه الها .. وعلى هذا  
فهو سوف لا يهجرها وهى شريكته فى الالهوية وسوف لا يدع ابنها  
وابنه يعيش مغمورا . وسوف يدافع عنها من عليائه ويأتمنها على أجنحة  
الريح يماوتها فى جهادها .

بمثل هذا التفاؤل بدأت تفكر فى المستقبل .

كانت فتاة ساذجة حين عرفها قيصر للمرة الاولى .. أما اليوم فهى  
امراة كاملة تشيح فيها جراحة أسرتها ، وهى على أتم الاستعداد لتدفع  
بأمالها الى قمة الأطماع مادام الى جانبها وليد سوف يجمع بين يديه  
الصغيرتين عرش العالم أجمع .

- ٧ -

استمرت الفيرة والحقد بين أنطون وكتافيوس عقب مقتل قيصر .  
فربما كان أنطون لا يرى فى اكتافيوس ندا يصلح لان يصبح خليفة  
لقيصر . وربما كانت رغبته فى تحقيق آمال كليوباترة فى الصغير  
قيصرون سببا لهذا الحقد .. ولكننا نعلم أن حلفا ثلاثيا تم بين اكتافيوس  
وأنطون ولبيدوس حكم الثلاثة بقتضاء روما وإيطاليا فيما بينهم .  
واشتراك أنطون ولبيدوس فى حكم الممتلكات . واقتصر حكم اكتافيوس  
على افريقية وتوميديا والجزر . واتفقوا على أن يتخلصوا من أعدائهم كما  
اتفقوا على القضاء على مائة من الشيوخ ومائتين من الاثرياء وذوى النفوذ  
فقتلوا جميعا قتلة شنيعة بين مناظر الرعب والامس التى لم يشهد التاريخ  
أفظع منها الا فى القليل النادر . وكان شيشرون أحد هذه الفرائس وقد

تكب من أجل عدائه لانطوان الذى كان على رأس الثالوث . ولم ينفع دفاع  
اكتافيوس عن الخطيب لانقاذه . . . وصودرت املالك القتل واستخدمت  
فى تسيير دقة الأمور .

أما بروتس وكاسياس فكانا يجهزان جيشا فى مقدونيا ليحساريا  
اكتافيوس وانطوان . وفكر كاسياس فى غزو مصر وكانت كليوباترة  
التحفة بين شقى الرضى . فهنا بروتس وكاسياس ويداهما مازالت  
ملطختين بدماء زوجها الحبيب . وهناك حلف ثلاثي لا تعرف دلالتة ولا  
مداه ولا مطامحه بل رأت أن تنفض يدها من انطوان ما دام قد سمح  
لنفسه أن يضع يده فى يد غريمها اكتافيوس . أما دولابلا الذى أصبح  
صديقا لانطوان فقد أرسل اليها يرجوها إعادة الفرق التى كان الدكتاتور  
قد تركها بالاسكندرية . . . وكان كاسياس قد طلب اليها مثل ذلك من  
قبل . . . فلبت طلب دولابلا ولكنه هزم قبل أن يصل اليه الجنود الذين  
أوصى بارسالهم اليه .

وفى أكتوبر عام ٤٢ ق.م. هزم انطوان بروتس وكاسياس فى  
معركة فيلبى أما كاسياس فقتل وأما بروتس فانتحر . وأصبح انطوان  
معبود الجنود واستقر الرأي على أن يرحل للشرق لجمع الاموال للثالوث  
على أن يبقى اكتافيوس فى روما لتنظيم الأمور . وترك أمر الممتلكات  
الافريقية الى ليليدوس . ومر انطوان بجيوشه الى اليونان ثم آسيا  
الصغرى وعسكر فى طرطوس فى صيف ٤١ ق.م. وأرسل من هناك  
ضابطا يدعى دليوس الى الاسكندرية ليستدعى كليوباترة ليناقشها  
الحساب فى أمر معاونتها بروتس فى حين كانت هى تنهمه بارتباطه مع  
اكتافيوس مما لا يتفق مع مصلحتها . . . ولكن لم يسعها أن تناصبه العداء  
فقد أصبح أقوى رجل فى العالم . . . ولذا جهزت نفسها للرحيل الى  
طرطوس .

## - ٨ -

كان انطوان طويل القامة قوى البنية متين العضلات . وكان شعره  
الكثيف يلف حول رأسه . وكان يتميز بجبهة عريضة وكان فمه وأنفه  
يوحيان بالقوة كما كانت تعبيرات وجهه مليئة بالصراحة .

وكانت له جاذبية جنسية لا تقاوم . . . وكان ينتسب الى عائلة  
نبيلة . وكان له من الصفات الكريمة ما دفع جنده الى عبادته فكان فصيحاً

صريحاً عطوفاً يواسي المرضى والمحزونين ويُرَوِّد الجرحى من جنسده في خيامهم .

وكان ميالاً للدعابة ... وكان طفلاً كبيراً . واستمر كذلك طيلة حياته وأسرف في الخمر حتى كان يشرب مع كل رجل . . وأجاد التمثيل وكان يحاول في أحاديثه مع الجماهير أن يسترعى أنظارهم بحركاته لا بكلامه فحسب بل كان يقيم المسارح في حملاته ... ولكنه لم يكن يكثر كثيراً بالرائى العام .

وكان كريماً نحو أصدقائه وأعدائه على السواء وكان مسرفاً في إعطاء المنح والهدايا . ولم يقم للمال وزناً بل كان اسرافه حديث العالم . . ويقال انه لم يكن هناك ند له في خطابه للجماهير . ولم يكن ليخجل من علاقاته الفرامية فقد ترك نفسه على سجيته ولم يتعلق بامرأة واحدة أبداً . . وكان في طبعه شيء من الوحشية وإن كان طيب القلب سامي الماطفة . ذلك هو الرجل الذى قدر لكليوباترة أن تشد رجالها للقائه . وأن ترتبط به كما ارتبطت بقيصر من قبل :



الإمبراطورية المصرية





أبحرت كليوباترة من الاسكندرية ... ومرت بقبرص وشواطئ سورية ثم دخلت الى كيليكيا في طريقها الى طرسوس ... وطرسوس اذ ذاك مدينة لها شهرة تجارية وبها مدرسة للخطابة تميزت بها . وتقع على ضفاف نهر في ظلال سفوح مليئة بالأحراج وهي على بضعة أميال الى الداخل . وينفتح النهر امام المدينة على شكل بحيرة هادئة .

وكان انطوان في المحكمة العامة بسوق المدينة حين وصلت كليوباترة . وكافي يتوقع ان تأتي اليه فوراً لتقدم فروض الولاء . ولكن كليوباترة سليمة الآلهة لم ترض أن تلعب دور المولى . بل بقيت في ركايبها كأنها هي لا تتمتع لقاءه وتطايروا الإشاعات عن فخامة ركبها . وقيل ان الاستعدادات قائمة على ظهر سفينتها لاستقباله فأسرعت الجموع المحيطة بالمحكمة مع السوق الى ارضة الميناء . وبقي انطوان وحيداً بين حاشيته . فأرسل اليها رسولا يدعوها للعشاء فردت الرسول برسالة منها تدعوه بدورها مع حاشيته فقبل الدعوة وأصدرت أوامرها على الأثر بان يقترب السفين من الميناء ... وبدأ الفلك ينزلق على وجه الماء والشمس تميل للغروب . واشعتها الذهبية تنعكس فوق المجاديف الفضية . وكان النسيم يلعب بالأشعة . وكان للفلك دفتان يحركهما رجال يقفون في المؤخرة تحت مسقف على شكل رأس فيل من الذهب اللامع يرفع خرطومه الى اعلا ... وحول الرجال عدد من الحوريات في زى « الجنيات » وبالقرب منهم جماعة من الموسيقيين يلعبون على الاوتار وينفخون في المزمار ... أما كليوباترة فكانت في زى فيثوس الفضفاض المحلى بالذهب ومن حولها أطفال في زى كوبيد يقفون الى جانبي وسادتها ممسكين بمراوح من ريش النعام الملون . وأمامها مباهر ترسل عطرا قويا شذيا وصل شذاه الى الشاطئ قبل أن يصل السفين . ولما وصلت الى الرصيف المزدحم صعد انطوان وقواده وعظماء طرسوس الى ظهر المركب وكان لقاء انطوان معها ودياً لأن مظهر قدمها كان يمنع كل ما يدنو الى اللوم أو التثريب اذ أن فخامة المركب وروعة

الاستقبال وسحر الفسق وانغماس الموسيقى الهادئة الشجية التي امتزجت بأصوات المجاديف التي تضرب صفحة الماء ورائحة العطور الذكية ... لا بد أن هذا كله قتل في نفسه كل رغبة في اللوم أو العتاب بل أنها لم تدع فرصة للحديث الجدى . فأقبلت عليه تقوده ورفاقه إلى صالون العشاء الذى يحيط به اثنا عشر مسنداً مثلث الشكل تغطيها الوسائد المطرزة . وأمام كل مقعد مائدة عليها صحون من الذهب المرصع بالأحجار الكريمة وكؤوس دقيقة الصنع من الذهب الخالص . كما كانت الحوائط مغطاة بتطريز من الذهب والأرض مغطاة بالزهور ..

أما انطوان فقد خلبت ليه روعة الاستقبال . وأما كليوباترة فلم يسمعها إلا أن تعتذر عن أنها لم تف الاستقبال حقاً وكانت تهدى اليه بين الوقت والآخر بعض ما يستعمل للمائدة من صحون وأواني شراب ووسائد ومطرزات .. وحين عاد مع أصحابه إلى ظهر السفين وجدوا أنفسهم تحت مصابيح قوية تطل من مربعات ودوائر من غابة من الأغصان المتشابكة فوق رؤوسهم حيث أمضوا وقتاً ممتعاً فى صحبة الملكة الفاتنة حتى فرغت أواني النبيذ أو كادت وخفقت أضواء المصابيح . ثم ظهرت من بعيد أشباح الممثلين فى الأتعة الإلهية كأنما نزلت فينوس إلى الأرض لتلهو مع ديونيزوس . وكأنما أرادت كليوباترة بذلك أن يعترف بها انطوان - كما اعترف قيصر من قبل - صورة حية لفينوس . ولم يكن ذلك عجيباً فقد كان شائعاً أن تنقصر الآلهة أجساد النساء فجوليا ابنة أوكتافىوس كانت صورة حية لفينوس جنتريكس فى بعض المداين ..

ودعا انطوان كليوباترة أن تكون ضيفته فى الليلة التالية ولكنها أصرت أن يشرعها بزيارته مع حاشيته مرة أخرى ... وأزرت الوليمة اللاحقة بالوليمة السابقة وحين انصرف الضيوف لم يأخذوا معهم وسائدهم التى كانوا يقتعدونها فحسب . بل أخذوا معهم كذلك هوداج يحملها عبيد وقتيان أثيوبيون يتيرون لهم الطريق بالمشاعل . أما الطيقة الثانية من الضيوف فقد أخذوا معهم جياداً لها سروج من الذهب ذكرى لهذه الليلة .

ولبت كليوباترة دعوة انطوان فى الليلة الثالثة .. وامتص انطوان موارد طرسوس ليقدم لها مآدبة كما أدبتها .. ولكنه فشل واعترف بفشله . وكانت مائدة كليوباترة تمتاز بحديث يدار ملؤه الحكمة والدكاء ... كما كان يسودها جو من الفطنة والدهاء .. أما مائدة انطوان فإن

امتازت بشيء من هذه الناحية قبلوا الحديث وفجأة واضطرت  
كليبواترة أن تجنبن القوم حتى تكسب إلى صفها الجندي فيصبح  
حليفها .

وكان في كليبواترة شيء لا يقاوم ، وكان في أخلاقها نوع من الحيوية .  
وفي شخصيتها لون من التسلط الذي يستره الضعف - أن جاز لنا  
أن نقول ذلك - وكان في صوتها سحر أخاذ . وكان انطوان يريد من  
دعوتها إليه أن يلومها على أعمالها مصلحه ولكن تأثيرها ظهر في انحرافه  
عن جادة الصواب إذ أهمل قضية قيصر الأولى في سبيل معاونته  
لأوكتافيوس . وهكذا سقط فريسة سهلة لجاذبيتها وأظهر استعدادا تاما  
لانتقاد رغبتها .

وفي الليلة الرابعة دعت ضباط الرومان إلى وليمة أخرى وأمرت  
بارضى المصلون أن تغطى بالورود إلى عمق قدمين وأن تمسك بشباك  
تربط إلى الحوائط حتى يسير ضيوفها على وسائل من الزهور وقد  
تكلفت الفرقة الواحدة ما يساوي مائتين وخمسين جنيهًا .

ومضت الليالي التالية على هذا النحو وكانما كانت كليبواترة تصر  
على أن تظهر بلذخها وثراءها حتى تكسب حليفا في صراعها ضد  
أوكتافيوس وقد نجحت في هذا المضمار أبيا نجاح فاعترف انطوان أن  
الولايم تمتص موارده في حين ذكرت هي أنها إن أولت وليمة تتكلف ما يعادل  
... ١٥٠٠٠ جنيه فان ذلك لا يؤثر عليها . فانكر عليها انطوان ذلك  
فتحدته أن تفعل ذلك في الليلة التالية وقبل الرهان . ورأى في الليلة  
التالية أن المائدة لا تزيد على موائد الليالي السابقة . وقاموا بتعداد  
النفقات في آخر الولاية بما في ذلك ثمن الأطباق والقوارير من الذهب  
الخالص وظهر أن المبلغ لا يصل إلى الرقم الذي ذكرته ... فأشارت  
إلى أتباعها الذين أحضروا مائدة عليها كوب به بعض الخل . فخلعت  
من إحدى أذنيها لؤلؤة تساوي قيمتها أكثر من نصف المبلغ الذي تراهن  
عليه معه وألقت بها في الخل ثم تناولت الكوب وبه الخل واللؤلؤة المذابة  
وقيمتها أكثر من ٧٥٠٠٠ جنيه استعملت لتناول اللؤلؤة الأخرى لولا  
أن بلانكوس تدخل وقرر أن الرهان كسبته الملكة .

ولابد أن كليبواترة كانت ترمي من وراء ذلك كله إلى غرض واحد .  
هو أن توحى إليه بأن ثراءها لا حد له وأن ثروتها ستصبح تحت قدميه  
إن هو عاون ابن قيصر . فلم تكن الاكواب والصحون الذهبية . ولم  
تكن اللؤلؤ المذابة . ولم تكن الموائد المرفقة ... لم يكن هذا كله .

بالثمن الفادح لتحقيق هذه الفكرة . فاذا اختمرت الفكرة في ذهنه وضعت ثروة البلاد بين يديه ومكنته من ذهب نوبيا وأثيوبيا وأرته طريق الهند . وأوقفته على مادفع قيصر الى الانضمام اليها . وهكذا تحققت أطماع قيصر الذي منعه الموت من تحقيقها .

وكان هناك امران ، استغلت فرصة لقاءها بأنطوان لتبلغ رايها فيهما .. أما الأول فهو الاميرة أرسينوى التى سارت في موكب نصر قيصر فان سراحها أطلق . وكانت تعيش في أفسس في معبد أرتميس وكانت صاحبة عرش قبرص مع أخيها . وكان كاهن المعبد يمجدها كملكة وربما عاونت بروتس وكاسياس حتى يردا اليها الجميل بوضعها على عرش مصر . وربما كان والى قبرص المدعو سرايوان عوناً لها في هذه المؤامرة حين سلم أسطوله الى كاسياس ... فأخذت كليوباترة موافقة أنطوان على اعدام أرسينوى وسرايوان وأنقذت من رجالها وأعوانها من قتلوا أرسينويه على باب الهيكل كما ذبحوا سرايوان .. أما الكاهن فقد نجا بأعجوبة ..

أما الأمر الآخر الذى كان يقلقه فهو ظهور رجل يقال انه أخوها وزوجها بطليموس الرابع عشر الذى قتل من قبل انه مات غرقاً في الدلتا في معركة عام ٤٧ ق.م اذ وصلتها الأنباء انه على اتصال بأرسينويه وأنه يعيش في فبنيقيا فوافق أنطوان على القبض عليه وقتل بعد بضعة أسابيع ..

ولم تمتد زيارة كليوباترة لطرسوس أكثر من أسابيع قليلة وحين عادت للاسكندرية أحسست بأثر هذه الرحلة التى رفعت عن آمالها . فهي لم تبعث الرعب في قلب كاهن أرتميس فحسب بل كسبت الى جانب ذلك عون أنطوان وانتزعت منه وعدا بزيارتها في الاسكندرية ليرى بعينه ثروة مصر التى تزعم أن تضعها تحت تصرفه .

٢ -

أصبحت أغراض أنطوان تتجمع في أمور ثلاثة : أولها تكوين حلف دفاعى مجموعى مع كليوباترة حتى تصبح أموالها وسفنها ورجالها تحت امرته . وثانياً غزو بارتيا حتى يرفسه مجد الانتصارات والاسلاب الى القمة . وثالثها معركة مع أوكتافيوس تنتهى بإزاحته من طريقه فيصبح سيد العالم .

وتنفيدا لهذه الخطة سار بسفنه الى مصر في خريف عام ٤١ ق.م . ليتم تحالفه مع ملكة مصر . وترك دسيدوس ساكسا على رأس القوات في سوريه لينبئه بحركات البارثيين الذين كانوا يجمعون قواتهم . ولكن جاءته الانباء بان أخاه لوكياس انطونيوس وزوجه فولفيا يجهزان لمعركة مع اكتافيوس ورأى أن قوته لا تسمح له الآن بالنزال كما رأى أن يوهم الجميع أنه متغيب في المسألة الشرقية . فعدل عن الذهاب الى روما ومضل أن يذهب الى مصر حتى تتيسر له تعبئة الجنود وجمع الأموال توطئة لحرب البارثيين اذا استدعى الامر ذلك .

ولم يكن انطوان رجلا دبلوماسيا . بل كان يعمل بما كانت توحيه اليه نزواته . وقد عرفت فيه ملكة مصر ذلك فأرت استغلال هذه الصفة . وسرعان ما طرح الامور الرومانية وراء ظهره وأحيا أطماع الملكة الغفانة التي رأت فيه منفذا لرغباتها ومنفذا لأطماعها . . اما هو فرأى نفسه في الاسكندرية محوطا بلون آخر من الناس ومدفوعا الى لون جديد من المتعة ومنغمسا في حياة لم يتذوق مثل ثمارها الشهية من قبل . لأن الاسكندرية كانت اذ ذاك تحفل برجال الادب والعلم والثقافة . . وأثرت عليه البيئة الجديدة فخلع الزى الروماني وأرتدى الملابس اليونانية . . ولما كان يتقن اللغة اليونانية فقد جمع حوله حاشية من نبلاء اليونان وكان يقضى أوقاتا طويلة في المصايد والمتحف وهكذا اكتسب مركزا ممتازا في البلاط السكندري . وكان انطوان يقدر أن كليوباترة تريد لأسباب سياسية أن يصبح زوجا شرعيا لها حتى تتحقق آمالها . كما كان من السهل على أي رجل أن يدرك أن امرأة صغيرة لم يعمر زواجها الاول طويلا في أشد الحاجة الى زوج تستكين الى حنانها في ساعات وحدتها وتلجأ اليه في محنتها . . وكانت كليوباترة برغم تظاهرها بالشجاعة والقوة امرأة صغيرة عاطفية فحاول كسب صداقتها ثم ثقتها . وسرعان ما استسلمت بكل غرائزها وعواطفها وطبيعتها الواثية . .

واعترف البلاط بهذا الرباط الجديد . وثبته الكهنة وسرى نبؤه في مصر كلها كما حدث في أيام قيصر . ويذكر السكندريون انها كانتا يخرجان في بعض الامسيات متخفين في زي جارية وعبد يطرقان الابواب ويختفيان كالاشباح . ولم يكن هذا غريبا على طبيعة انطوان التي تميل الى المرح . ولا غريبا على امرأة شابة تميل الى الدعابة كان زواجها الاول من رجل اقرب الى الجد منه الى المرح . وكانت تقضى معه أوقاتا طويلة في

الصيد والقنص خارج الاسوار . وكانت تلعب معه وتاكل وتشرب وتلهو  
وتتقى ساعات طويلة الى جانبه ينهلان من موارد الحب التي لا تنفد .  
ويذكر السكندريون انهما خرجا يوما ليصيدا السمك وانقضى النهار  
ولم يصد انطوان شيئا فاعوز الى احد عبيده ففطس في الماء ووضع  
سمكة في شص انطوان كانت قد صيدت من قبل . وادركت كليوباترة  
عنه الدعاية فاعوزت الى احد خدعها في اليوم التالي فوضع سمكة مملعة في  
شص انطوان بمجرد ان ادلاه في الماء فلما أخرجه ضحكت منه وقالت :  
« مالك يامولاي ولهذا .. دع هذا اللون من الصيد لحسكام فاروس  
وكانوب واصطد انت المدن والممالك والقلاع » .

وانشا في ذلك الشتاء ناديا يدعو كل عضو من اعضائه زملائه  
الآخرين لمأدبة مسرفة . وكان انطوان يرأس ذلك النادي وكانت مؤائده  
سخية بقائمة طعامها . ولكن مؤائده مصر كانت تزرى بها .

وهكذا مر الشتاء الطويل بين قصف ولهو .. وتوطلت الصلة بين  
انطوان وكليوباترة فامن بذلك جانب مصر وكسب عونها .. وكانت  
كليوباترة ترى فيه زوجا شرعيا لها . وكان مركزها يحميها من اللوم  
ومن الخضوع للقوانين الوضعية . فهي قبل كل شيء ملكة الهة ارتضت  
ذلك الرجل زوجها يحمي مصالحها ووطنها وأسرتها ويرضى كبريائها كائني .

وفي اوائل عام ٤٠ ق.م أحسبت بشرة هذه الملاقة فتشبثت به  
وان حاول من جانبه أن يتملص مما قد يجره ذلك الحادث من نتائج  
لا يدرى مداها .. والواقع أن بقاء انطوان في ذلك الشتاء أفاده كثيرا  
فجعله بعيدا عن متاعب السياسة في إيطاليا واكسبه ثقة مصر وثروتها  
إذا أراد أن يفيد منها . ومهد الطريق لتزواجه من ملكة مصر إذا شاء  
ذلك لنفسه وإذا شاء أن يقيم ملكية كان قيصر يكاد يلدوب وجدها  
لتحقيقها .

اما كليوباترة فلم تنل سوى وعود مبهمه وأصبحت قلقة على  
مصرها إذا تخلى عنها انطوان . ولابد أنها فكرت كثيرا في اواخر الشتاء  
هل تثق في انطوان الذي منحته الشيء الكثير ... الذي أحبته واسلمت  
نفسها اليه . ثم أحسبت أنه لا يمكن الاعتماد عليه فهو ليس سوى طفل  
كبير لا يفكر على ملء الفراغ الذي تركه قيصر .

ولنا أن نخيل شعورها في فبراير عام ٤٠ ق.م حين أنبأها بأن  
عليه أن يرحل حالا لما وصله من أنباء سيئة من روما ومصرية .. أمّا

أخبار روما فقد فهم منها أن أخاه وزوجته اعتكفا مع أوكتافيوس وهربا عن إيطاليا . أما أنباء سورية فقد جاءه أن بعض الأمراء السوريين الذين كان قد أخضعهم قد اتحدوا مع البارثيين وساروا من الشمال الشرقى نحو ساكسا محافظة سورية . وكانت الحامية هناك ضعيفة فقد كانت خبرة جنود أنطوان في إيطاليا وبلاد الغال ومقدونيا . ولذا نراه مضطرا لأن يقطع زيارته من الاسكندرية . ولم يسألها عونا حرييا بل ترك وراءه طفلا لا أب له وامراة تدعم عرشا بلا رجل . . . وحيدة بغير رفيق . . . ولم تكن تقدر ساعة الفراق أن أربعة أعوام طوال سوف تمر قبل أن تراه مرة أخرى .

- ٣ -

في شتاء عام ٤٠ ق.م بعد أن رحل أنطوان بستة شهور ولدت كليونباترة توأمين ذكرًا وأنثى هما الكسندر هليوس وكليونباترة سيلني . أي الشمس والقمر . وعكفت على العناية بهما وظلت ثلاثة أعوام طوال لا تسمح نبا عن أيهما بل كانت تنسقط أخباره .

أما أنطوان فقد رحل إلى صور وهناك علم أن سورية وفينيقيّا سقطتا في أيدي البارثيين كما علم أن إيطاليا لم تعد مغلقة الأبواب في وجهه فحسب بل أن أوكتافيوس أصبح سيدها الوحيد .

ووصل إلى أثينا في نهاية يونية وقابل زوجه فولفيا . وبدأ يتعاقبان فلامها على سوء تصرفها في روما ولامته من أجل علاقته بكليونباترة . . . واضطرت إلى الاعتكاف على بعد ستين ميلا من أثينا . وهناك مرضت وماتت في أغسطس .

وانتهز أنطوان فرصة موتها فآلى على أكتافها عبء ما حدث في إيطاليا وعقد صلحا مع أكتافيوس كان مؤداه أن يكون لأوكتافيوس مطلق التصرف في روما والممتلكات الأوروبية في حين يحكم أنطوان الشرق بما فيه مقدونيا واليونان وبثينا وآسيا وسورية وبرقة . أما باقي الأملاك في شمالي إفريقيا فيما وراء برقة فكانت من نصيب ثالث الثلاثة لبيدوس . ومهسرت هذه المساعدة بزواج أنطوان من أوكتافيا أخت أوكتافيوس وهي امرأة صغيرة جميلة كان زوجها قد مات منذ زمن قصير . واحتفل بالزواج في أكتوبر عام ٤٠ ق.م .

ولابد أن هذه الأنباء جميعها آلمت كليوباترة كثيرا ٠٠٠ فإن عمر التوامين لم يتجاوز أسابيع قليلة . وقد لامت نفسها كثيرا اذ ألقت بآمالها وأحلامها بين يدي رجل لا يوثق به متقلب العاطفة .. ولابد أن الأمل لديها في انتصار قضية قيصر .. أما أوكتافيا الجميلة فقد كانت تعرفها كليوباترة مما زاد في تعذيبها .. فهي قد أكتوت بنار الحيانة ونار الغيرة معا .

ورزق أنطون في سبتمبر عام ٣٩ ق.م من أوكتافيا ابنة سماها أنطونيا ( وهي التي أصبحت فيما بعد جدة نيرون الطاغية ) . وعاش بعد ذلك في أثينا عيش الاثنينين كما كان يحيا في الاسكندرية حياة السكندريين . واتبع نظام الحكم اليوناني فالقي المحافظات الرومانية في كثير من الولايات وحولها إلى ملكيات صغيرة . فجعل من هيرودس ملكا على اليهودية . ومن داريوس بن فارناكس ملكا على بوناسي . ورفع امتناس على عرش يسيديا . ومنح بوليمو تاج ليكادونيا . وشارك أهل أثينا في طقوسهم الدينية وفي الزواج . وكان الشعب يحبه في الوقت الذي كان يمقت فيه أوكتافيوس الذي ينحدر من بيئة وضيعة . فقد كان جده مقرض نقود من العامة . وابتغى أبوه بهذه الثروة التي رفعته إلى المجتمع الروماني الراقي فتزوج من عائلة قيصر . وكان أوكتافيوس سييء الخلق قاسيا له بطانة دنيئة مفامرة مثله . وكانت إيطاليا في أثناء حكمه تزوج تحت حكم ماؤه الرعب . وكان الرومانيون يكرهون طلمته وكان قصير القامة وبوجهه ندوب وجلده مغطى بالبقع وأسنانه تالفة وكان قلدا لا يعنى بهندامه يكره ضوء الشمس ويخاف البرد . وكانت زوجته وأخته تخيطان ملابسه . وإذا قارناه بأنطون نرى أنطون رجلا شعبيا أخذت أسهمه في الارتفاع . وحاول أوكتافيوس في ربيع ٣٨ ق.م أن يثير حربا ضد سككس بومبياس وطلب إلى أنطون الانضمام إليه . وحاول أنطون تهدئته فلم يفلح . وقد سر الشعب كثيرا حين هزمه سككس في يولييه التالي . كما أن أنطون قد هزم البارثيين قبل ذلك بشهر من الزمان تحت قيادة أحد قواده . فاثارت هذه الأنباء جميعا حماسة روما .

وانتهى أمر الثالث عام ٣٧ ق.م فجدد خمس سنوات أخرى . وتعد أنطون أن يمد أوكتافيوس بمائة وثلاثين سفينة في حربه ضد سككس على أن يماونه أوكتافيوس ب ٢١٠٠٠ جندي في حربه ضد البارثيين .. أما الثمن الذي دفعه أنطون لشراء الجنود فقد كان ثمنا



كبيرا حقا .. فلقد اشتراهم انطوان بتضحية ذلك الرجل الذى كان صديقا لأمه والذى عاونه ضد أوكتافيوس حين لم تكن المقادير تجرى بما يشاء .

وفى طريقه الى كورنثو فكر انطوان فى الانفصال عن روما . على أن يعود اليها كفاتح للأرض فأرسل زوجه أكتافيا فى إيطاليا . وأرسل فونتياس كاييتو الى الاسكندرية ليدعو كليوباترة الى مقابلته فى سورية .

وكانت أوكتافيا سيدة حلوة محبة للوثام .. ولو كانت أقوى شكيمة لتغير وجه التاريخ فى هذه الحقبة من الزمن .

وفكرت كليوباترة كثيرا فى علاقتها بهذا الرجل وانتهت الى ان وجوده الى جانبها ضرورى من أجل نصره قضيتها .

## ٤ -

أقلمت كليوباترة الى سورية وقابلت أنطوان بعد أسابيع قليلة عند نهاية عام ٣٧ ق م فى مدينة أنطاكية . واستعملت فى هذا اللقاء كل ما تملك المرأة من سلاح فاستغلت ضعفها الجنسى وسيلة لاذلاله وحاول أن يدخل الهدوء الى نفسها والسكينة الى قلبها بعد أن عرف ألامها وشجونها وقلقها .

وافق معها على أن يعمل الترتيبات ليتم بينهما زواج شرعى طبقا للتقاليد المصرية على ألا يعلن نبأه الى شيوخ روما . ورأى أن يطلق على نفسه لقب أوتوقراط أى « حاكم مطلق » للشرق قاطبة . وهذه الكلمة اليونانية ترادف كلمة « امبراطور » الرومانية . وقد فضّلها أنطوان لأن كلمة « ملك » كرهية على أسماع الرومان . ووافق أنطوان على أن يعتبر قيصرين الوريث الشرعى للعرش وعلى أن يمنح أبناءه من كليوباترة ممالك أخرى داخل امبراطوريته . ومنح كليوباترة ملك سينا وبلاد العرب بما فيها بئرا وجزءا من وادى جوردان ومدينة جريكو وجزءا من السامرة والجليل ثم الشاطئ الفينيقى ماعدا صور وصيدا ثم لبنان وربما شاطئ سورية الشمالى وجزءا من كيليكيا ربما كان يضم طرسوس وجزيرة قبرص وجزءا من كريت .. وهكذا دخلت مملكة يهودا فى حدود أملاك كليوباترة .. أما كليوباترة فقد تمهدت بأن تضع كل مواردها تحت تصرف أنطوان .

ولابد وان الزواج تم عقب هذه الاتفاقية .، فصكت النقود التي ظهرت عليها راساها معا . وبدأ تاريخ جديد لحكم كليوباترة . وانقضى الشتاء في انطاكية والاستعدادات قائمة على قدم وساق لتجهيز حملة البارثيين الجديدة . وكانت انطاكية عاصمة لسورية وتعتبر ثالثة مدن العالم اذ ذاك ولها شهرة في العلوم والفنون .

وبدأت الحرب في مارس عام ٣٦ ق.م وصاحبت كليوباترة انطوان حتى زيوجما وهي مدينة على نهر الفرات قرب الحدود الامينية على مسيرة ١٥٠ ميلا من انطاكية . وكانت تود لو تتابع المسير معه لولا ان الأمور دعت الى عودتها الى مصر .

ومرت في طريقها بهيودس عليها تصل الى اتفاقية معه بشأن اليهودية . وافقت على ان يستأجرها منها لقاء مبلغ من المال . . وعرض عليها ان تتابع سفرتها الى مصر من طريق اورشليم وغزة أى داخل بلاده حيث فكر ان يقتلها . وبدأ يفاوض اصحابه مبينا لهم خطورة بقائها على قيد الحياة وأن خزن انطوان عليها سوف لا يطول بل سيفرح من اجل التخلص منها . وقد نصحه اصدقاؤه الا يفعل ذلك فاضطر الى العدول عن رأيه وأوصلها الى حدود بلاده التي غادرتها الى الاسكندرية لتضع طفلها الرابع المسمى بطليموس .

ثم وصلتها الأنباء بانذحار انطوان وعودة جيشه مهزوما محطما ممزق الأوصال يغلب عليه الجوع والعري والمرض . وأرسل اليها يطلب عونها ليقم اود جنده وذكر لها انه يتوقع حضورها الى الشواطئ السورية بين صيدا وبيروت فجمعت الأموال والملابس والدخيرة وأسرت اليه . وقابلته وهو خجل من نفسه يعيب الخمر ليل نهار ليغطي خزيه : ورجاله لا تكاد تستر هوراتهم .

- ٥ -

لم تكن كليوباترة الى جانب فكرة الحرب ضد بارثيا . فحاولت ان تشن انطوان عن محاولة مساودة الهجوم على تلك الجهات وأن تقر به بالعودة معها الى الاسكندرية حتى يتفرغ للحرب ضد أوكتافوس الذى علم انطوان بانتصاره على سكتس بومبياس الذى هرب الى متيلين . كما سمع ان ثالث الثالوث . (لبيدوس) اعتكف تاركا افريقية لاوكتافوس.

وعلى هذا كان خصمه يحكم الغرب كله ويتحفظ للانقضاض عليه اذا ما سنحت له الفرصة .

ولمى أنطون دعوة كليوباترة وقضى الشتاء في الاسكندرية وكتب الى روما يذكر أن الحملة نجحت من كل الوجوه . . .

وفي أوائل ٣٥ ق.م حاول سكس بومبياس أن يفاوض البلاط المصرى فلم ينجح فولى وجهه شطر البارثيين . وعلم أنطون أنه حاول أن يرشو وكيله فى آسيا دوميتوس اينيوباريوس فأمر بالقبض على ابن بومبى . وقد حمل تيتوس الامر وقتل سكس فى ميلتوس . ولما وصلت الانباء الى روما أحدثت استياء شديدا . فقد كان سكس بطلا شعبيا .

ولكن مجرى الحوادث سرعان ماتغير لوصول ملك بونتاس الى الاسكندرية . وهو الذى كان قد قبض عليه البارثيون فى حملة أنطون الاخيرة واعتقله ملك ميديا . وقد أرسله الاخير الى مصر ليحمل النبا بأن مملكتى ميديا وبارثيا قد دخلتا فى حرب جديدة . وأن ملك ميديا يعرض على أنطون أن يساعده ضد منافسه . واثارت هذه الانباء الشيء الكثير من الفلق فى قصر كليوباترة . فهذه فرصة سانحة لهزيمة البارثيين بأرخص الائمان لأن ميديا كانت دائما الحليف القوى . ولكن كليوباترة كانت تخشى اثر ذلك كله كلما تذكرت أن نفوذ أوكتافىوس يزداد . وأن الكفاح يجب أن يوجه اليه لا الى غيره فالتحت على أنطون ألا يقوم بهذه الحملة الجديدة . وأرسل أنطون رسولا الى أرتامسد ملك أرمينيا يطلب اليه الحضور الى الاسكندرية دون ابطاء لبحث الموقف معه ولكن أرتامسد الذى كان قد هجر أنطون بعد هزيمته فى ميديا لم يشأ أن يضع نفسه فى يد مولاه الذى خانه ففضل أن يبحث عن مهرب أمين أو يلقى بنفسه فى أحضان البارثيين .

ولم يستمع أنطون الى نصيح كليوباترة وبدأ يتجهز للحملة فلما رأت ذلك فكرت أن تصحبه ورحلا فى أواخر الربيع الى سورية . ولما وصل الى هناك جاءتة الانباء أن زوجها أوكتافيا فى طريقها للحاق به وضربت له موعدا فى اليونان . ويظهر أن أخاها أوكتافىوس كان وراء ذلك كله . فلو أممء استقبال شقيقته لكان ذلك ايلانا بمرآك بينه وبين أنطون . وأرسل أنطون الى زوجته يسألها البقاء فى أثينا وأخبرها أنه فى طريقه الى ميديا . فأرسلت أوكتافيا صديقا للمائلة يدعى نايجر تسأل زوجها ما تفعله بصدد الجيوش والمؤن ولكن نايجر لم يعد باجابة شافية .

تورات كليوباترة في هذه المعركة ايذاها بالمعركة . وفكرت في ان تعود بأنطوان الى مصر ليصبح بعيدا عن تأثير أوكثافيا . ولتتفرغ معه للاستعداد لمعركة أهم من معركة بارثيا . ولكن أنطوان كان اميل للانتقام من خصمه القديم منه لاستعجال الحرب مع صهره . وكانت الظروف حوله تعاونته فهو لم يحصل على سند ملك ميديا فحسب بل ان ملك ارمينيا رأى أخيرا ان يهادنه فقدم ابنته زوجة لاسكندر هليوس ابن أنطوان الصغير . ويحدثنا بلوتارك أن كليوباترة استماتت في هذه الفترة لاعادة أنطوان الى الاسكندرية « فادعت انها تكاد تموت وجدا وجبا . . » كما نقص وزنها وشحب لونها . . وحين كان يدخل أنطوان الى غرفتها كانت تثبت عينيها عليه ولها وعبادة . . فاذا ماغادر مكانه كادت روحها تخرج في اثره . وكانت تحاول ان يراها باكية فاذا مانجحت في خطتها سارعت الى تجفيف عينيها كأنما كانت تود لو لم ير شيئا . . ولم يال رسلا جهدا في اظهار رغبتها . فأكثروا من لوم أنطوان على تركه امرأة تهلك وهو كل مالها في الحياة . . فاوكثافيا زوجته في الواقع ولكن كليوباترة ملكة وسيدة امم كثيرة نعتت بان تكون عشيقته . فان هو هجرها فانها لا تقوى على الحياة . .

بهذه الوسائل أمكنها أن تجعله يعدل عن التفكير في الحرب المزمعة . ولما لم يكن جبه لها يقل عن حبها له فقد عاد الى الاسكندرية حيث قضى شتاء ٣٥ - ٣٤ ق.م ولكنه عاد في الربيع الى سورية وأرسل الى أرتفاسد ليتشاور معه في أمور بارثيا . ويظهر أن الملك الارمني كان يتآمر ضد أنطوان خلال الشتاء فأسرع أنطوان نحو أرمينيا وأسر الملك واجتاح بلاده وحولها الى اقطاعية رومانية وكسب كسبا ماديا كبيرا من وراء هذه المغامرة .

ولما عاد الى سورية بدا يفاوض ملك ميديا وكان من اثر المفاوضات ان تزوجت الاميرة الميديه يوتابا من اسكندر هليوس الصغير الذي كانت خطيبته لابنة ملك أرمينيا قد فسخت بعد الفوز السابق . . ويظهر ان ملك ميديا لم يكن له وريث فوافق على هذا الزواج حتى تشترك ابنته في الملك . . ويظهر أن أنطوان بدأ يفكر جديا في انشاء ممالك يحكمها نسله عن طريق أسرات ملكية من لحمه ودمه في بلاد كثيرة . . . ثم عاد أنطوان الى الاسكندرية وأصبح تفكيره ينحصر في الحرب الاهلية الزمعة وقومها . اذ ان أوكثافيا لم تخف ملاقته من سوء معاملته فطلب اليها اخوها ان تترك منزل زوجها . ولكنها لم توافق على ذلك ولم ترض أن يشهر أخوها حربا على زوجها بسببها .

عاد أنطون إلى الاسكندرية في شتاء ٣٤ ق.م ورأى أن يحتفل بانتصاره على أرمينيا في العاصمة المصرية . ولم يحدث من قبل أن احتفل قائد روماني بمثل ذلك خارج روما . وكان من أثر ذلك أن ظهر عمل أنطون كأنما هو يجمل من الاسكندرية منافسا لروما .

وسار على رأس الاحتفال فيلق من المحاربين القدماء يحملون دروعا عليها حرف ( ك = C ) قيل انه يرمز لاسم كليوباترة كما قيل انه يرمز لاسم قيصر ( ك = C ) في كلمتي كليوباترة وقيصر Cleopatra . Caesar . وركب أنطون عجلة تجرها أربعة جياد بيضاء وسار أمامها ارتفاسد مقيدا بالسلاسل الذهبية مع زوجه وأولاده . وسار خلف المركبة موكب طويل من أسرى الأرمن تليه غنائم الحرب ثم عدد من الاتباع من المستعمرات يحملون تاجا تخليدا للذكرى الفزوة . ويل هؤلاء جميعا فرق رومانية وأخرى مصرية وشرقية .

وخرج الموكب عند الشروق من القصر الملكي حتى معبد نبتيون ثم إلى الفورم ومنه مر بالمباني الجميلة ذات الحدائق إلى شارع كانوب حتى تلك المنطقة التي بناطح فيها كوم باليوم السماء الزرقاء . ثم انحرف الموكب غربا في الشارع الموصوف الذي أقيمت الأعمدة على جانبيه والذي كانت تقع إلى يمينه حوائط السيماء ( الأضرحة الملكية ) . حيث ترقد رفات الاسكندر . ثم انعطفت جنوبا إلى شارع سراييس الذي يربض في نهايته مبنى السراييوم الفخم حيث كانت تنتظر كليوباترة وحاشيتها وكبار الموظفين بالاسكندرية وحيث تكاثرت كهنة وكاهنات سراييس على جانبي الشارع وعلى البرج العريض الذي يؤدي إلى بهو المعبد . وهناك ترجل أنطون بين هتاف النظارة وصعد إلى المعبد ليضحي لسراييس كما كان يضحي في روما لجوبيتر . ولما تم له ذلك عاد إلى الحرس أمام المعبد المقدس حيث أقيم رصيف مرتفع صفت جوانبه بالفضة وقام فوقه عرش من الذهب جلست عليه كليوباترة في زى إريس معقرة من مشاق الطريق ذليلة من زراية المتفرجين . ولم يكن ارتفاسد متبربرا بل كان رقيق الحاشية مثقفا بل شاعرا . ولابد أن يكون هذا اللون من المعاملة أكثر مما يطبق . وطلب إليه أن يظهر ولاءه لكليوباترة وأن يسجد أمامها كالهة فرفض أن يطيح وحاول الحراس أن يستعملوا

معه الصنف ليرسخ قايى بل وقف امامها وناداهما باسمهما المجرى .. وكان النظام التبج فى روما ان يقتل الاسرى عقب موكب النصر .. وهذا الملك جرؤ أن يهين الملكة فالموت عقاب يسير له .. ولكن مظهره المهيب جعل كليوباترة وانطوان يتوقفان عن انفاذ الموت فيه بل عاملاه بشيء من الرحمة فسجن فى العاصمة ..

وبعد انتهاء الموكب أقيمت وليمة شائعة لكل سكان الاسكندرية . كما أقيم احتفال آخر بعد الظهر فى الملعب ونصب فيه مرة أخرى رصيف مصفح بالفضة عليه عرشان من الذهب كبيران وأربعة عروش كبار جلس عليها أنطوان وكليوباترة وأولادهما . وخاطب أنطوان الجماهير فأشار الى انتصاراته ثم خلع على الملكة وأعقابها القاب الشرف فسمها ملكة مصر والمقاطعات التى خلمها عليها فى انطاكية منذ ثلاث سنوات ومنح قيصرىون لقب ملك الملوك ( وكان عمره ١٣ ١/٢ سنة ) كما منح أسكندر هليوس لقب ملك أرمينيا وميديا وبأورثيا ( التى كان والد يوتابا قد وعد بالمعاونة على غزوها ) . وكان عمره ست سنين وكان يرتدى الزى الارمنى . أما كليوباترة، سيلين توأم اسكندر هليوس فقد منحت ملك بركة وليبيا وبناثر ما كان فى طوق أنطوان أن يمنحه من الشياطين الافريقى الشمالى . أما بطليموس الصغير فأصبح ملكا على فينيقيا وشمالي سورية وكيكيا وكان يبلغ من العمر سنتين وكان يرتدى الزى الفينيقى .

وبعد انتهاء الاحتفال حيا الاطفال والديهم وعادوا محوطين بحاشية من النبلاء من البلاد التى منحوا ملكها . وصكت بهذه المناسبة النقود التى كتب عليها « كليوباترة الملكة والملوك اطفال الملوك » . ثم كتب أنطوان الى شيوخ روما ينبئهم بذلك كله مشفوعا بتقرير عن حروبه الارمنية . وقابلت روما الانباء بكثير من الدهشة والاستيثار . ورأى رسله الا يقرعوا التفصيلات ولكن أوكتافيوس أصر على سماعها فاضطروا ازاء اصراره الى اعلانها .. وبدأت الانباء تسرى فى كل مكان أن أنطوان نصب من نفسه سلطانا شرقيا يحيا فى الاسكندرية حياة التبدل والمجون وأذيع عنه أنه دائم الادمان على الشراب لايفيق من سكره بعكس كليوباترة التى لا يسكرها الشراب بتأثير خاتم سحرى من الامنتوس له خاصية طرد اثر الخمر من رأس حامله .

من المحتمل أن أنطوان كان يخشى أن يشهر الحرب ضد أوكتافيوس فقد أحس أن مكانته في روما لم تعد كما كان يتوقع لها أن تكون وحاول أن يقضى على قلقه المتزايد بالادمان على الشراب فأفقدته ذلك احترام كليوباترة التي رأت آمالها في رجلها تنهار وأصبحت تستشعر قدرته كقائد كفء لمنازلة أوكتافيوس في عراق يتوقف عليه مصير عرشها الملقق .

أما قصر الاسكندرية فقد جعله أنطوان ملائماً لحياة سلاطين الشرق فعلاً . فوضع الذهب في السقوف وجعل الأعمدة من الرخام المزين بالبورفير القرمزي والعقيق . . . أما الأرض فمن الأونكس والمرمر . واستعمل الأبنوس بدل الخشب ووضع العاج في الجوانب . . . وحليت الأبواب بظطاء السلاحف المستحضرة من الهند وزينت بالزمرد . أما الوسائد والكراسي فكانت محلاة بالجواهر . وكانت هناك موائد لاتعدو بمال صنعت من العاج المنقوش . . . وكان العبيد يسيرون بأجسامهم السوداء اللامعة أو البيضاء وكلهم جميل المنظر أتى بهم من اثيوبيا وبلاد الفلبا وجرمانيا . . . ويحدثنا « بليني » أن أنتوني اشترى عبيدين ثمن كل منهما ٨٠٠ جنيه على أمعاس أنهما توعان بينما كانا من بلدين مختلفين . كما يحدثنا « لوكان » أن كليوباترة كانت تزرع تحت عبء مجوهراتها في ثياب اشترك في صنعها صناع من مصر والصين على شكل نسيج العنكبوت . وقد ملأت تجارة الهند جوانب القصر على مسعته .

في وسط هذه المظاهر عاش أنطوان كنصف أوتوقراط الهى شرقى وكان يسره أن يقترب بياكوس أوديونيوزوس فيسسير في الاعياد في شوارع الاسكندرية في عربة مثل عربة الاله وفوق رأسه تاج من الذهب واكليل من الفار على كتفيه . . . وكان يسير في شارع كانوب محوطاً بنساء يقفنز ورجال متحمسين والجماهير على جانبي الطريق يصخبون ويهتفون . . . وقد خلق يوماً دور اله البحر جلاوكوس على صديقه بلانكوس قرص هذا عاريا ملونا باللون الأزرق وفوق رأسه أعشاب البحر وحول وسطه ذيل سمكة .

ولم يكن أنطوان يقيم وزناً لكرامته . . . وكثيراً ما كان يرى سائراً على قدميه بجوار عربة كليوباترة يتحدث إلى الخصيان والخدم من حاشيتها . وسأل الملكة أن تخطف عليه لقب المشرف على الألعاب وهو لقب غير مشرف على كل حال . وكان يلزمها ملازمة المظل فيركب إلى

جانبها ويرأس الحفلات الدينية والرسمية ويجلس بجوارها في مجالس القضاء أو يحل محلها فيها . وما أن يرى عربتها حتى يترك المجلس ليجرى نحوها ويعود الى القصر تاركا وراءه المشرعين ورجال الشرطة أو المجرمين الذين كانوا يحاكمون وكلهم يفتح فمه دهشة واستغرابا .

ولسنا نعرف شيئا عن علاقته بأطفاله ولكننا نعرف تماما أنه كان يعتقد أن علاقته بكليوباترة علاقة لا غبار عليها . فقد كتب الى أوكتافيوس في السنة التالية يعجب من أن يقال أن هذه العلاقة غير مشرفة « ألا أتعيش مع ملكة في علاقة ودية ؟ هي زوجتي » اهكذا نبا جديد عليكم ؟ ألم أكن كذلك من تسع سنوات ؟

والواقع أن حياة أنطون في الإسكندرية لا تعتبر شيئا إذا قيس بحياة أوكتافيوس مثلا في روما . فقد كان أوكتافيوس يسخر أصدقائه ليجربوا المدينة بحثا عن فتاة تسليه . وكان هؤلاء الرسل يختطفون الفتيات الشريقات ويمزقون ملابسهن كما يفعل تجار الرقيق تماما ليتحققوا من صلاحية الهدية . أما أنطون فلم يقل لنا واحد ممن تحدثوا عنه أنه فعل مثل ذلك .

## - ٨ -

بعد أن انقضى الشتاء توجه أنطون في ربيع عام ٣٣ ق.م. الى معسكر الصيف في سورية ليولق علاقته بملك ميديا حتى يأمن هجمات البارثيين في حربه المقبلة مع أوكتافيوس . ففتح جانبيا كبيرا من أرمينيا العظمى . ومنح ملك بونتاس أرمينيا الصغرى . . وتركت الأميرة يوتابا الميديا التي كانت قد زوجت من أسكندر هليوس في رعاية أنطون حتى تتعلم في الإسكندرية فأرسل الملك معها الى أنطون هدية من النسور كانت قد أمسكت في حصار عام ٣٦ ق.م. كما قدم اليه فرقة من حملة السهام الخيالة الذين ضايقوا الحملة الرومانية الأخيرة وأعطاه أنطون بدلا منهم قوة أرسلها الى العاصمة الميديا .

ولما توفقت العلاقة مع ميديا وأمن بذلك جانب البارثيين عاد أنطون الى مصر ليقضى شتاء آخر واصطحب معه يوتابا فوصل في أوائل الخريف . وجاءته الأنباء بأن أوكتافيوس هاجمه بقسوة وعنغ في مجلس الشيوخ وأثار الرأي العام عليه . . وكان أنطون قد سمع بذلك وهو في أرمينيا فكتب الى أوكتافيوس كتابا شديد اللهجة رد عليه



أوكتافيوس بكتاب لا يقل عنه عنفا . واخذ أنطوان عليه أنه لم يقتسم  
الفنائم التي أخذت عن سكس يوجياس وأنه لم يعد المراكب التي كان  
قد استعمارها في الحرب البومبية . وأنه لم يشترك معه في حكم أفريقية  
بعد انسحاب لبيدوس . وأنه وزع الأرض الحرة في إيطاليا بين أجناده  
فلم يترك شيئا لجنود أنطوان .

ورد عليه أوكتافيوس بقوله أنه على استعداد لتقسيم غنائم  
الحرب حين يشركه أنطوان في أرمينيا ومصر . أما فيما يخص بارض  
الجنود فإن جند أنطوان ليسوا بحاجة إليها ما دامت أممهم ميديا  
وبارثيسا ..

ولابد أن الإشارة لمصر كواحدة من الملكات لا كبلد مستقل قد  
ضايقت كليبواترة كثيرا كما ضايقها تعريض أوكتافيوس بحياة أنطوان  
السائلة منها . ولكن خفف من حدة غضبها اعتراف أنطوان بزواجه  
منها .

وهكذا كانت الشراوة على وشك أن تصيب مخزن البارود .  
ولابد أن حمى القلق كانت تجتاح كليبواترة ولم تصفح عن أنطوان حتى  
نقل معسكر الشتاء إلى أفسس وأرسل الرسل في كل مكان لاستدعاء  
قواته . وساعد كليبواترة في استعداداتها للحرب التي تمت في أسابيع  
قليلة . وأبحر أنطوان وكليبواترة إلى أفسس في أوائل شتاء عام  
٣٣ ق . م . على رأس قوة بحرية وحربية كبيرة . ولابد أن السكندريين  
قدروا مدى ما هي مقدمة عليه . فلبضع سنوات خلت كانوا ينحنون  
أمام نفوذ روما . أما اليوم فإنه بفضل مهارة وحكمة وجاذبية ملكتهم  
الوالهة التي تنقمصها إيزيس أفروديت يخرج أسطول عظيم ليقضى على  
روما القوية ..

ولما سمعوا كليبواترة تقسم أن تجلس مع ابنها قيصرين في  
الكابيتول . انتشوا بخمر الحماسة والفخر والامل الذي عقدوه على  
ملكهم الالهة .







جمع أنطوان وكليوباترة قواتهما في أفسس وهكذا تحولت هذه المدينة القديمة الى أخطر مركز حربي وبحري في العالم . وقد أحضرت كليوباترة معها من مصر أسطولا قويا مكونا من مائتي سفينة حربية وجيش من الجند والبحارة والعمال والعبيد وسحبت من رصيدها ٢٠٠.٠٠٠ وزنة من الذهب أو ما يعادل أربعة ملايين من الجنيهات كما أحضرت كميات هائلة من الحبوب والاطعمة والاقمشة والاسلحة والذخائر . وكانت تصل المراكب يوميا محملة بالمومن المتزايدة من سورية وأرمينيا وبونت . أما أسطول أنطوان المكون من مئات عدة من السفن الحربية فقد احتشد عند النهر . وقد ازدحمت الطرقات ليلا ونهارا بالجيوش وعلى رأسها ملوك الشرق وحكامه إذ أسرع لتلبية الدعوة بوكاس ملك مورتجسانيا . وتاركونديموتاس حاكم كيليكيا العليا . وأرخلاوس ملك كابادوشيا . وفلادلفوس ملك بانلاجونيا . ومتريداتيس ملك كوماجين . وسادالامس وروميتالكيس ملكا تراقيا . وأمنتاس ملك غلاطيا . وأسرعوا جميعا ليجسوا أنفسهم في خدمة أنطوان وملكة مصر .

ولا ندرى آكان أولئك الناس على علم بما هم مقدمون عليه ومن يحاربون أم لا . ولكن مما لا شك فيه أنهم أسرعوا لتلبية نداء رجل حكم بلادهم سنين طويلة وكانوا مدينين له بالكثير - وربما بعروشهم - وكان بهم دائما رحيما وعليهم عطوفا فإذا ما هزمه منافسه فقد يكون ذلك وبالا عليهم ونذيرا لهم بالسقوط .

كانت كل المظاهر تبشر بنجاح أنطوان فاملوا كثيرا من وراء انضوائهم تحت لوائه . وفكروا فيما يمكن أن يعود عليهم من خير كائنا لمساوئهم الصادقة . وقد ذكر لنا ديون كاسيوس أن السبب الرئيسي لقيام هذه الحرب هو رغبة أنطوان في الاعتراف بحقوق قيصرين . والواقع أن أنطوان كان ينكر دائما رغبته في تأسيس ملكية في روما . بل كان ينادى بأنه يريد هذه الحرب ليضع ابن الدكتاتور - قيصرين - في مكانه الحق ويزيح من الطريق مقتصب الوراثة أوكتافيوس . أما مركز أنطوان فهو

مركز الوصي على الطفل • وسينهج في إيطاليا على أمس جمهورية • • •  
وكان من المعروف أن عرش روما سيعرض عليه وأنه سيسلمه الى قيصر  
وهكذا تخلق أسرة من دم يوليوس الالهى •

والواقع انه بغير وجود قيصر لم يكن هناك ما يبرر قيام الحرب  
في الظاهر على الأقل • فأوكتافيوس هو الوريث الشرعى لقيصر اذا  
ما اختفى قيصر من الوجود • وكان أنطون يعترف كذلك ادخاله  
كليباترة في السياسة الرومانية بقصد ايجاد عرش لها • وهى الخطوة  
التي كان يخطوها قيصر لو لم تعاجله خناجر الاعداء والحاسدين •

وكانت الجيوش تحوى جندا من جميع الامم فكان من بينها تسع  
عشرة فرقة رومانية وجيوش من الفال والجرمان والمور والمصريين  
والسودانيين والعرب والهند ورجال قبائل ميديا المتوحشين والارمن  
وقبائل البحر الاسود واليونان واليهود والسوريين • وربما لم يجتمع  
من قبل في تاريخ العالم مثل هذا العدد من اللغات والاجناس في صعيد  
واحد •

ولابد أن كليباترة فكرت كثيرا في هذه الجموع الحاشدة التي  
سوف تدخل المعركة من أجلها • ولا بد أنها عادت بذاكرتها ستة عشر  
عاما الى الوراء حين كانت ملكة مصر تعتمد على قوة روما • وتحترب من  
أجل استقلال بلدها وأسرتها • أما الآن فهي تزهو بملك دونه ملك الفراعنة  
وبسلطان لم ينله أحد من أسلافها الأسبقين •

## - ٢ -

في ربيع ٣٢ ق.م • وصل أربعمائة شيخ روماني الى معسكر أنطون  
وقرروا أن أوكتافيوس أمر كل مناصر لأنطون أن يرحل عن المدينة • وقد  
بقى بروما ثمانمائة شيخ هم في صف أوكتافيوس أو محايدون • • ولم تكن  
الحرب قد اعلنت بعد من الناحية الرسمية ولكن هذا الاعلان لم يحد  
ضروريا • وقد بدأ نفوذ كليباترة ينال الكثير من المعارضة بعد وصول  
الشييوخ الذين سرعان ما أدركوا أن أنطون أوتوقراط الشرق وزوج  
كليباترة ليس بالرجل الذي يصلح لاستعادة الحكم في روما • فأظهر  
بعضهم للملكة الكراهية وطلبوا اليها أن تنسحب من الميدان في الوقت  
الحاضر على الأقل وتعود الى مصر تنتظر نتيجة المعركة على أن يبقى قيصر  
الذي لا يتكر أحد شرعية ما يسعى اليه •

رأى أنطون صواب ما يرمى اليه الشيوخ فانضم اليهم في سؤال

كليوباترة العودة الى الاسكندرية • ولكن يقال انها دفعت رشوة لاحد مستشاري أنطون ليدافع عن وجهة نظرها • وكان من أثر ذلك أن صرف النظر عن الاقتراح وبقيت كليوباترة مع الجيش بحجة أن الاسطول لا يحارب الا اذا كانت الملكة معه وأن الاموال المصرية يسهل الحصول عليها حين يحتاج اليها اذا كانت كليوباترة في الميدان • • وقد أدى بقاؤها الى انقسام الشيوخ الى معسكرين وبدأت تشك في نوايا أنطون • بل وبدأت تعتقد أنه سيزيحها من الطريق حين يرى مصالحها تتعارض ومصالحه • • أما بعد • • فهي التي حفزته للقيام بهذه الحرب وهي التي أشعلت فيه الرغبة في اثارها • وهي التي تولت العمليات الحربية جميعها • ورغم ذلك فإنه كان حتى الساعة الحادية عشرة يكاد يستجيب لدعاة السلام بل وعرض أن يفرغ السلاح اذا وافق أوكتافيوس على أن يفعل ذلك هو الآخر • وقد ظنت في بادئ الامر أن هذا الاقتراح لم يكن سوى دعابة لانها كانت ترى في اشهار الحرب ثم كسبها وسيلة لتثبيت حقوق ابنتها • فانها كانت لا تأمن ما يجد من الأمور مادام لاوكتافيوس قوة في روما • وكانت تتوق الى ميناء السلام بعد سنين العواصف • • وهكذا قر رايها على أن تضرب ضربة حاسمة فدفعت أنطون الى الكتابة الى أوكتافيوس بما لا يحتمل اعتذارا بعد ذلك • وبدأ دعاة السلام يلحون عليه في اصلاح الأمور مع أوكتافيا • ولكن كليوباترة تغلبت في نهاية الامر فاستقر رأى أنطون على أن يعبر البحر الى بلاد اليونان ويقرب بذلك موقع المعركة فأبحر من افسس في آخر أبريل الى جزيرة ساموس تاركا جزءا من جيشه وراءه وبقي هناك حوالي أسبوعين أو ثلاثة • وانتقلت مع الجيش فرق من المهرجين والموسيقيين والممثلين • وتنافس الملوك في اقامة الآداب وتقديم الضحايا لآلهة معابد الجزيرة • ويحدثنا بلوتارك عن ذلك فيقول « بينما العالم كله تقريبا يملؤه الشجن اذ هذه الجزيرة الوحيدة تروج بالعرف والقصف والزمير والرقص والفناء والتمثيل أياما عدة حتى لقد بدأ الناس يتساءلون عما سيفعلونه يوم اعلان النصر اذ كانت هذه الآداب المسرفة تقام قبل الحرب » • •

وعند نهاية مايو عبرت الجموع البحر الى أثينا وأحسست كليوباترة بفتور أنطون نحوها وطالبته بتطبيق أوكتافيا وإعلان الحرب ولكن أنطون لم يشأ أن يأخذ مثل هذه الخطوة الحاسمة فقد رأى نفسه بين أمرين كلاهما مر إذ أنه كان قد وعد كليوباترة أن ينصب قيصرين على عرش روما اذا ما انتصر • في حين ذكر له الشيوخ أنهم يقدرون عليه آمال ليستفيد الجمهورية ويصبح مواطنها صالحا •

والواقع ان مثل هذه المشكلة كانت يسيرة هينة في شباب انطوان . ولكن قوة ارادته كانت قد أوهنتها المسكرات وأصبح يعتمد على كليوباترة اعتمادا تاما . فقد كان مغرما بها وهو في الخمسين من عمره وحيويته تتناقص بشكل ملحوظ . وهي لاتزال شابة في الثامنة والثلاثين تزخر بالحياة والأناقة . وربما كانت قلة اكترائها به سببا في تمسكه بها . ولعل الملكة كانت تقاسى في هذه الفترة آلاما ومتاعب مبعثها ذلك التدهور والانحطاط السريع الذي بدأ يظهر جليا في الرجل الذي أحبته وثقت به . وزاد في تعقيد الامور وصول أنتيلوس ابن انطوان البالغ من العمر أربعة عشر عاما . وكانت أوكتافيا تعامله معاملة عطفة حين كان يعيش في روما . وكان أنطوان يأمل أن يجعل منه وريثا له . وكانت كليوباترة ترى فيه منافسا خطيرا لابنها قيصرين .

وأخيرا تمكنت كليوباترة في أوائل يونيو من أن تؤثر على أنطوان فاتخذ الخطوات النهائية وطلق أوكتافيا وأعلن الامر للشيوخ وأرسل الى روما رسلا لطرد زوجته من منزله كما أرسل الى جيوشه في أفسس لتعبر البحر حالا الى اليونان . وكان تصرفه ضد أوكتافيا مما دفع الكثيرين من أصدقائه الى اظهار قلقهم وذكروا أنطوان أن مثل هذه المعاملة الخشنة ستفض الكثرين عن مناصرته في إيطاليا . والتمسوا اليه أن يخفف من وقع ما فعل فخطب في جنده واعد اياهم أن يحقق لهم نصرا شاملا . في مدى شهرين من الزمان وأن يعيد تأسيس الجمهورية .

وكان هذا الاعلان لطمة قاسية لكليوباترة . اظهرها على نوايا أنطوان وعلى لعبته المزدوجة . وان استمر يظهر ولاء عجيبا واستجابة تامة لمطالب كليوباترة . ولكن خادعة أثارت المعسكر كله هو هجران اثنين من القواد غادراه الى أوكتافيوس أحدهما تيتوس الذي عرفناه عند مقتل بومبي والآخر بلانكوس الذي عرفناه في الاسكندرية حين طلى جسمه باللون الأزرق ورقص عاريا . وقد وصفه فيلافيرس « كاحط متملق للملكة » . أحط من أي عهد .

وكان الرجلان شاهدين على وصية أنطوان التي حفظت منها صورة عند العذارى الفستيات ، ولما وصلا الى روما أخبرا أوكتافيوس بمحتويات الوصية فأسرع الى معبد قستا . وأخذ الوصية وقراها على الشيوخ . ولعل أشد ما أثارهم وصية أنطوان أن يرسل جثمانه الى الاسكندرية بعد وفاته ليدفن بجوار كليوباترة .

وبدا الرجلان يقصان القصص عن أنطوان ويهيلان العار فوق رأس



الملكة . وبرجمان تدله أنطوان في حبها الى جرعات الحب السحرية التي تسقيها اياه سرا . ولقد تحدث الرواة كثيرا عن هذا الحب وعن هذا السحر . وعنه نشأت القصص الطويلة التي تروى عن « الملكة العاهرة لكائوب التي نذرت أن تثير أنوبيس الذي ينبع ضد جوبيتر وأن تفرق صوت الطبل الروماني في آلتها الموسيقية التي تجلجل » ، أما اصدقاء أنطوان في روما فقد أرسلوا جيمينوس الى اثينا مندرين اياه أنه سيعلم عدوا للدولة . وظن أنطوان عند وصول الرسول أنه مندوب من أوكتافوس فقابلته بفقر وجعله هو وكليوباترة هدفا لنكاتهما اللاذعة وتحمل الرجل ذلك بصبر . وحين أسكره الشراب ليلة مع أنطوان سأل هذا عما أتى به الى أثينا فأجاب الرجل بأن لذلك حديثا لا يقال والمرء مخمور . ولكن أمرا واحدا يقوله المرء صاحيا ومخمورا هو أن عودة كليوباترة الى مصر في مصلحة كليهما . فغضب أنطوان ولكن كليوباترة أجابت في هدوء قائلة « أحسنت يا جيمينوس أن أقصحت عن غرضك دون أن تعلم » . وبعد يومين عاد الرجل الى روما .

ولكن رجلا آخر هجر المعسكر هو مركوس سيلاتوس ضابط قيصر في الغال الذي نقل قصصا عن قوة كليوباترة وضعف أنطوان .

وسرعان ما أرسل أوكتافوس إعلان الحرب ضد كليوباترة لا ضد أنطوان . أما مرسوم اعلانها فقد حرم أنطوان وطيغته وسلطانه لانه سمح لامرأة أن تقوم بمقامه . وأضاف أوكتافوس أن أنطوان شرب جرعات سلبته حواسه وأن القواد الذين سيخاربهم الرومان هم خصيان البلاد . المصري ماردبون وبوئينوس ومصطفة شعر . كليوباترة ايراس ووصيفتها شرميون ما دام هؤلاء هم أهم مستشاري أنطوان .

هنا بدأت كليوباترة ترى بوضوح أن وجودها هو سبب البلاد كما رأت أن عودتها ستؤدي في الوقت نفسه الى احتمال خيانة أنطوان . وأرسل أنطوان الرسل الى روما ليثير الرأي العام الى جانبه . وتوقع أن يبدأ أوكتافوس بالهجوم ورأى أن ذلك في مصلحته اذ سيقوى على تحظيم العدو قبل الوصول الى الشاطئ كما كان يرى أن السفر سيضعف الجيش .

- ٣ -

لم يكن أوكتافوس ليصرف من أين يأتي المال في حين كانت مصر مستعدة لدفع أجر الجنود وتموين الجيوش . وقد ساعد ذلك كله على تقوية الروح المعنوية في جيوش أنطوان الذي ترك أربع فرق في برقة ،

وأربعاً في مصر وثلاثاً في سورية • وحصن الجانب الشرقي من البحر المتوسط بحاميات صغيرة وكان الجيش في اليونان مكوناً من ١٠٠.٠٠٠ من المشاة و ١٢.٠٠٠ حصان • وكان لدى أوكتافيوس ٨٠.٠٠٠ من المشاة و ١٢.٠٠٠ حصان •

ولما تقدم الشتاء أخذ أنطون وكليوباترة طريقهما من أثينا إلى باتريا . وتبادل أنطون وأوكتافيوس ففترة الانتظار عدة رسائل . أما أوكتافيوس فكان قلقا من أجل رجاله وكتب إلى أنطون يتحده أن يحارب في إيطاليا . ووعد ألا يعوق نزول الرجال والإمداد . وبدا المعركة حتى يتم أنطون استعدادة . أما أنطون فتحده أن يقف أمامه في معركة فردية وجهه لوجه . رغم أنه أصبح كهلا . . . وقد رفض أوكتافيوس هذا التحدي فغداه أنطون إلى العصور بجيشه إلى سهول فرساليا لتتم المعركة هناك حيث تحارب قيصر مع بومبي قرابة السبعة عشر عاما . ولكن أوكتافيوس رفض هذا التحدي كذلك وهكذا وقف الجنشان وجهه لوجه عبر البحر الأبيض .

وأرسل أوكتافيوس يدعو إليه الشيوخ الرومان الذين بقوا مع أنطون  
للمعودة إلى روما حيث يحسن استقبالهم وقد لقيت الدعوة أذنا صاغية •  
ولكن واحدا لم يجرؤ على تلبيةها رغم حقدهم على كليوباترة وقوة نفوذها  
مما لا يتفق وخدمة الجمهورية • وقد مسهم إعلان الحرب عليها - لأعليهم  
مسا عنيقا وأكد ذلك أن مراسيم التضحيات للآلهة تمت كأنما الحرب  
تقوم ضد علو أجنتي •

وجاءت الأنباء بأن مئونة الشتاء نفدت أو كادت وأن الأمراض تفتك بالمجندين والبحارة حتى هلك ثلثهم فبدأ في جمع الفلاحين والمسافرين العاديين وسائقي الحمير وحشدهم في السفن . وقد سببت هذه الأنباء قلقا في المعسكر . ولما توقفت في مارس عام ١٩٤٠م عواصف الشتاء ود كل رجل في بانزيا لو بقي أمنا في بلاده .

وضرب أوكثافيسوس الضربة الاولى فأرسل قوة احتلت ميتوني • فاستعد أنطوان لاحتلال الشاطئ ٠٠٠ • وحين كان يولى ظهره هذه الناحية انزلق أوكثافيسوس بجيشه من برنديزي وتورنتو الى كوركيرا ثم الى الشاطئ مارا في أبيروس ناحية خليج إمبراشيا مهددا بذلك أسطولا غير معد بالرجال • فأمرع أنطوان نحو الشمال بكل ما وسعه من سرعة ووصل اكتيوم على الجانب الجنوبي من الخليج في الوقت الذي وصل فيه أوكثافيسوس الى الناحية المقابلة ( الشمالية ) • ولما قدر أنطوان أن الهجوم

سينشن . . سحب سفنه من مؤخرة المعركة وزودها بالرجال حيث وجد ضرورة لذلك . وبدأ أوكتافيوس المعركة فاحتل أنطوان القسم الجنوبي ، وكون هناك معسكرا ضخما لحقت به كليباترة فيه بعد أيام قليلة .

- ٤ -

لقد أتعبت قصة آكتيوم المؤرخين كثيرا . ولم يقدم واحد منهم حتى الآن تفسيراً للأحداث التي حدثت بها أو الظروف التي أدت إليها وقد اختلفوا فيما بينهم كثيرا حتى ضاعت الحقيقة .

أرسل أنطوان جزءا من جيشه عبر آكتيوم وبذا وضع نفسه في مركز المتصرف في البحر إلى المياه الداخلية . أما أوكتافيوس فقد بنى حائطا يصل إلى شاطئ البحر الأيوني حتى لا يتدخل العدو في تأخير وصول المؤن إليه . ووضع سفنه بحيث تتحكم في مدخل خليج امبراشيا . وهكذا وجد أنطوان أسطوله في عنق الزجاجة بالنسبة للخليج . ولم يعد في استطاعته أن يخرج إلى البحر آمنا دون أن يحارب في كل خطوة من البحر الضيق . وهكذا تحكم أوكتافيوس في البحر الأيوني وأصبح في وسعه أن يتسلم المؤن والإمدادات يوميا من إيطاليا . ولكنه ورغم ذلك لم يكن يستطيع أن يترك معسكره المحصن لأن أنطوان كان يتحكم في كل البلاد المحيطة به . وهكذا بينما نرى أوكتافيوس يعوق أسطول أنطوان من التحرك داخل الخليج نرى أنطوان يحاصر جيش أوكتافيوس . وبينما يتحكم أوكتافيوس في البحر المفتوح ويحصل على مؤنه وإمداداته من إيطاليا . نجد أنطوان يتحكم في الأرض ويحصل على مؤنه بسهولة من اليونان .

هكذا وقف المعسكران وجها لوجه وأرسل أنطوان في يونيه كشفاته من الفرسان حول شواطئ الخليج لتقطع الطريق على تموين أوكتافيوس ولكن الخطة لم تنجح . وبعد ذلك بزمان قصير هزم تيتوس جانبا من فرسان أنطوان وأسر « أجريبا » عندها من سفنه خارج الخليج . وأرسل أوكتافيوس إلى روما يرضخ من شأن هذه الانتصارات ويذكر أنه أوقع أسطول أنطوان في الفخ داخل الخليج . كما أرسل مندوبين إلى بلاد اليونان ليقعوا النحر في قلوب السكان ويزعزعا نفقهم في أنطوان . ولا بد أن هذه الانتصارات الضئيلة الشأن أثارت أنطوان وضايقت كليباترة .

وفي يولييه وأغسطس بدأت الحرارة تزدد وبدأت لساعات البعوض

ودطوبة الصيف تؤثر على نفسية الجيش الذى التمس أن ينسحب الى الداخل وأن يدخل فى معركة مع أوكتافيوس بأسرع ما يمكن . . . وأما كليوباترة فلم تكن ترى ذلك بل كانت تريد معركة حاسمة ينتهى بها أوكتافيوس لأنها كانت تخشى تفهقرا الى الداخل لا تدرى مايجيء وراءه . وكان من رأى الجيش أن تعود هى الى مصر فلا تبقى عبقة فى وجه أنطون الذى سوف يصبح بعد انتصاره جمهوريا مثاليا . يضاف الى ذلك أن الانسحاب الى الداخل معناه العدول عن معركة بحرية . فوجود كليوباترة لا معنى له ما دامت لم تزدد الحملة بغير الاسطول فوق أن عدم وجودها سيكون فى مصلحة أنطون اذ تبطل بذلك حجة أوكتافيوس من أنه يعلن الحرب ضدها . هذا الى أن الاموال التى كانت قد جهزت بها الحملة نفدت .

فاذا ما عدل أنطون عن الحملة البحرية وعادت كليوباترة الى مصر فإن العنصر الجمهورى الغاضب سوف يرضى عن أنطون . . وسيفتح الحملات القاسية التى حملت عليها . وسوف تضهد نائز الشيوخ وسوف يقضى على ما داخل صغار الملوك والتواد من حقد وحسد . .

وقد صادفت هذه العروضا فى نفس أنطون فى حين أنها افضيت كليوباترة التى رأت فيه مرة أخرى رجلا خائرا . . حيلام رجل . . ليس فى امكانه أن يقيم دعائم العرش الإمبراطورى الذى تصبو اليه . . والذى ربما طلقها انصياعا لأمر قواده . . فاصرت على البقاء واضطر الى الرضوخ الى فكرتها وتنفيذ خطة الهجوم البحرى مما أدى الى خروج ثلاثة آخرين من معسكره وانصوائهم تحت لواء أوكتافيوس . وتوترت العلاقة بين أنطون وكليوباترة وخشى أن تقتله ووصل ذلك الى أسماعها . . فامرت ذات ليلة أن تملأ كأس خمرها من الاناء الذى يشرب منه الجميع وبعد أن تناولت منه جرعة قدمته الى أنطون وكاد يشربه لولا أن رأى نظرة منها جعلته يتوقف قليلا . وكأنما أوادت أن تضيف منة اليه فقطفت زهرة من شعرها وغمسها فى كوب الخمر ورفع أنطون الكوب الى فمه ثانية ولكنها اندفعت فجأة وطوحت بالكوب بعيدا ذاكرا له أن الكوب مسموم وأن السم كان كامنا فى الزهرة وانها اختارت هذه الوسيلة لتبين له أن فى مقبورها قتله اذا كانت تريد ذلك وحتى تبعد مخاوفه التى قامت على غير أساس وليطمئن قلبه .

وأظهرت له بعد ذلك الزراية والاحتقار وان أمضها القلق وغزاها الشجن .

دبر أنطون مع قواده وسيلة لاجراج كليوباترة من الميدان . وكانت أمامه وجهتان : الأولى أن ترحل عبر البحر بأسطولها بعد أن يهاجم أسطول أوكتافىوس . والثانية - وهى أضعف الفكرتين - أن ترسل برا عن طريق آسيا الصغرى وسورية . وهذا يؤدى الى اعتقاد سكان هذه البلاد أنها فرت من الميدان .

طلب أنطون من جيشه وأسطوله أن يحطما الحصار فى التاسع والعشرين من أغسطس . وكان هناك عدد من السفن لا يصلح لخوض المعركة فأمر أنطون بحرقها . واستعدت حوالى ستين سفينة مصرية وثلاثمائة أخرى لخوض المعركة . أما سفن كليوباترة فكانت تحتاج لأشعة ضخمة لتواصل الرحيل الى مصر . ولذا لم يكن من السهل الاحتفاظ بسر الرحيل فأمم - منعا للشبهات - أن يرفع الأسطول كله الأشعة الكبيرة بحجة الرغبة فى مطاردة العدو . وقد ساء الجيش أن تصبح المعركة معركة بحرية وطلبوا اليه أن يحارب المصريين والفينيقيون فى البحر وأن يحاربوا هم فى البر .

وفى الثامن والعشرين من أغسطس شحن فوق المراكب عشرين ألفا من المشاة وألفان من حملة الأقواس استعدادا للمعركة الغد . وكانت المراكب أكبر من مراكب أوكتافىوس .

وفى اليوم التالى كانت العواصف شديدة وكان من الضروري أن يتأخر الهجوم أربعة أيام أخرى مما أقلق القائدين دليوس وأمينتاس فهجرا معسكر أنطون الى معسكر أوكتافىوس ومع الثمانى ألفان من الفرسان الفلانيين . أما دليوس فربما كان قد سمع عن فكرة رحيل كليوباترة فزود أوكتافىوس بالكثير من خطط المعركة .

وفى أول سبتمبر هدأت العاصفة وأخذ أنطون ينتقل من مركب الى آخر ليشتج الرجال . وكان الجو فى صبيحة اليوم الثانى من شهر سبتمبر هادئا ورتب رجال أوكتافىوس سفنهم على مبعدة ثلاثة أرباع الميل من مفخل خليج امبراشيا وكانوا مكونين من ثلاثة أقسام : الجناح الأيسر تحت قيادة أجريبيا والأوسط يقوده لوكيلاس والأيمن تحت قيادة أوكتافىوس .

وعند الظهر بدأ رجال أنطون يخرجون من الميناء تحت ستار العدد الحربية المصطفة على الجانبين ورأى أوكتافىوس أن من العسير مهاجمتهم فى

الفيالق فانسحب الى البحر تاركا لهم فرصة تشكيل المعركة على انوجه  
الذى يرونه . وقد تم هذا بسرعة فانقسم الاسطول أقساما ثلاثة وتحرك  
سوسيساس نحو أوكتافىوس وماركوس أنسيقيوس ضد أرنيطوس وأنطون  
ضد أجرييا . وكانت السفن المصرية الستون تحت قيادة كليوباترة آخر  
ما خرج من الخليج . ووقفت خلف القسم الاوسط بعد أن جمع بها فى  
أثناء الليل مجوهرات ومقتنيات كليوباترة وقد افترقت عن أنطون فى  
الصباح وهى غاضبة منه .

وبدا أنطون القتال بأن تقدم جناحه الأيسر وحاول أجرييا أن يعوق  
تقدمه بيمينه فتحركت على اثر ذلك أقسام أنطون الأخرى واستمرت  
المعركة حامية ثلاث أو أربع ساعات ظهر جليا بعدها أن أوكتافىوس سيد  
الموقف .

وكانت كليوباترة فى مكان يسمح لها أن تشهد المعركة كلها وخشيت  
أن يقتل أنطون أو يؤسر فعادت بذكرتها الى ماضيها وإلى يومها السابق .  
وتذكرت رغبة أنطون فى عودتها الى مصر اذا رأت المعركة تكاد تنتهى . .  
وها هى ذى تكاد ترى النهاية المفجعة وسوف لا تعود الى الاسكندرية بأبناء  
النصر التى تغطي بها خزنها من حرماتها من عطف رجلها . بل تبصر إليها  
بعد أن ترى بعينها آمالها وقد تحطمت وتفر من رجل لم يعد معقد  
رجلها . . وهى أن بقيت سوف تؤسر ويسرى بها فى موكب النصر ذليلة  
يجلها الخزي والعار الى الكابيتول . . الى ذلك المكان الذى كانت تنظر  
إليه فيما مضى بعين الأمل كمكان تتويجها . . .

ولقد رأت رجلها الثانى ينهار . . . وهى شابة فى ريعان الشباب  
ستسمو فوق كل المتاعب وستبدأ حياة جديدة . . .

ولما وصلت الى هذا القرار أعطت إشارة الى سفينها ومرت بين السفن  
المتحاربة وراها أنطون تفعل ذلك فنادى إحدى سفينه السريعة وسأل  
قائدها أن يلحق بسفينة كليوباترة مصطحبا معه رجلين هما الكسندر  
السورى وسلياس .

- ٦ -

أبصرت كليوباترة أنطون وهو يتبعها ، ورات أن خروجها من المعركة انتزع  
من نفسه كل أمل فى النصر وأضحى فى نظرها رجلا كسيرا مهزوما لا دواء  
له غير الموت . فان تعلق بها فسيغرق ويغرقها معه . ومع ذلك أبت الا

أن تبقى معه في هذه اللحظات الأليمة فأمرت بدعوته إلى مركبها ولما انتقل إليها انسحبت إلى غرفتها ورفضت أن تراه أو تتحدث إليه . . .

أما هو فانتقل إلى مقدم السفينة ودفن وجهه في راحتيه . . ومرت ساعات طويلة ثم سمع من بعيد أصوات مجاديف فظن أن رسالة أتت من أكثيوم بها أمل جديد . فطلب إلى قائد السفينة أن يستدير ليرى ما هناك على أن يستعد للقتال إن كان القادم عدوا . . . ووقف على مقدم السفينة ونادى قائلا « من يتبع أنطون ؟ » فجاء صوت من الظلام يقول « أنا بوركل ابن لآخار جئت أنتقم لأبي » . وكان أنطون قد أمر بقتل لآخار عقابا للسرقة برغم أنه ينحدر من أنيسل عائلات البلبونيير وكان ابنه قد جهز سفينة لحسابه وأقسم لينتقم من قاتل أبيه . وسدد الرجل حربته ولكنه أخطأ الهدف في الظلام فطاشت فاصابت مركبا مصريا في حين مرقت المركب التي تحمل أنطون بسلام .

وعاود جلسته في مقدم السفينة ولم يفادر مكانه ثلاثة أيام متوالية ويداها مقيودتان أمامه واليأس يحتويه . . ومن عجب أنه لم يضع حدا لحياته إذ ذاك . . . وأخيرا وصلت السفينة إلى ميناء تيفاروس في طرفه شبه جزيرة اليونان الجنوبي وأتته إيراس وشرميون وغيرها من حاشية كليوباترة واستدعيته إليها فتحدثا معا وطعما ثم ناما . . . ولم يسمع كليوباترة إلا أن تراثي لزوجها الشمس . . وجاءت الأنبياء في الصباح بالكارثة التي حلت بأسطوله وأنبىء بأن أكثر من خمسة آلاف من رجاله قتلوا ولو أن الجيش بقي في مكانه ولم يسلم . فنصحت كليوباترة أن يحاول انقاذ من بقي من رجاله وأن يرسل الرسل من مقدونيا إلى آسيا الصغرى ففعل وسأل أصدقائه أن يتركوه وكليوباترة لمصيرها وأن يبحثوا عن سلامتهم . ومنحأ أعوانهما أموالا وصحافا وأكوابا من الذهب والفضة ليشتروا بها سلامتهم وكتب إلى نائبه في كورنت أن يزودهم بما يلزم حتى يعلن السلام مع أوكتافيوس . وحاول الضباط أن يرفضوا الهبات ولكنه ألح وأصر . . وخرج الأسطول مرة أخرى إلى البحر ميمما وجهه شطر شواطئ مصر فوصل بعد بضعة أيام إلى البارباتونيام وهي بقعة منعزلة على بعد ١٦٠ ميلا غرب الإسكندرية وكانت تقيم بها حامية رومانية . وعزم أنطون أن يختبئ هناك في حين تذهب كليوباترة لتواجه قومها . وقد ظل أنطون هناك عدة أسابيع يعيش في كوخ من الطين بجواره شجرة أو اثنتان من النخيل . . وكان جو سبتمبر حارا وطبا وكان يجول على شاطئ البحر يصحبه صديقاه أرسطراط اليوناني ولوكليوس الروماني . . ورسست أخيرا إحدى سفنه تحمل إليه أعباء أكثيوم فقيل له إن القتال

تستمر حتى مغرب الشمس • ثم انسحب الجنود الى خليج امبراشيا ودعاهم اوكتافيوس الى التسليم فى اليوم التالى • ولم يصدق احد أن أنطوان هرب فرفضوا التسليم •• ولكن بعض الملوك الموالى سلموا ثم تمنتت الفرق فى مقدونيا وتم التسليم فى التاسع من سبتمبر وأبحر اوكتافيوس الى اثينا • وتقبل خضوع كل مدينة من مدن اليونان عدا كورنث وأقيمت له التماثيل فى كل مكان •

وجاء رسول من الغرب بعد قليل يذكر لانطوان أن الفرق فى شمالى افريقية قد سلمت الى اوكتافيوس •• فحاول أنطوان الانتحار ولكن حديقته منعه وألما عليه أن يصحبهما الى الاسكندرية ليريح أعصابه برؤية كليوباترة •



أكتافيريس في مصر



أصبح أنطون فى نظر كليوباترة عقبة أمام طموحها بل أصبح وجوده مهدداً لكيانها . فهو لم يؤت من الشجاعة ما كان لكاتو المهزوم أو لعمى بطليموس قبرص أو لبروتس بعد فيليبى أو لمُسات من الآخرين الذين انتحروا حتى يضعوا حداً لمتاعبهم . . . وكان الانتحار فى هذه الظروف مبدأ من المبادئ السامية المنتشرة فى ذلك الوقت . . .

وفكرت كليوباترة فى وسائل كثيرة تصون بها عرشها المهدد اذا امتدت اليه يد أوكتافىوس . وكانت أمنيتها أن تحتفظ بمصر مستقلة بعيدة عن نفوذ روما . ولما كان تأسيس امبراطورية مصرية رومانية أصبح بعيد التحقيق بعد هزيمة اكتيوم فان جل ما يهمها الآن هو ابقاء التاج لابنها . . . أما بالنسبة للممتلكات التى منحها اياها أنطون فلم تكن تتوقع أن يطول احتفاظها بها فى حين عازمت على الاحتفاظ بمصر ما بقى فى جسدها نفس يتردد . . . وتحولت أفكارها الى الشرق وفكرت فى وسيلة لايجاد حلف مع واحدة من بلاد الشرق البعيدة مثل ميديا أو فارس أو بارتيا أو الهند حتى يقوى مركزها . وكان ابنها اسكندر هليوس ملكاً على سيديا . . . أفليس من الممكن أن تجد فى فارس أو الهند امتداداً لأملاكها التى تخلفها لقيصرون ؟ أولا يمكن ايجاد نوع من الامتزاج الكبير بين هذه الأمم التى لم تغزها روما من قبل ؟

لا بد أن هذه الافكار راودتها وهى تعبر البحر . ولكنها حين تركت أنطون فى باريتونيوم بدأت هذه الافكار تنحى منحى آخر . . . اذ كان من واجبها أن تمنع وصول انباء الهزيمة الى العاصمة قبل أن تسبى على الموقف . ولذا رأت أن تعجل بالوصول قبل قدوم الاسطول بأيام . فزينت مراكبها كأنها عادت منتصرة ووصلت فى أواخر سبتمبر عام ٣١ ق م . . . والموسيقى تصدح والبحارة يرقصون والاعلام تخفق . ووصلت السفينة الى الميناء الكبير وحملت منها كليوباترة فى روعتها الملكية الى القصر . . . وكانت تحمل معها أوامر مكتوبة من أنطون توجهة الى الفرق المقيمة بالاسكندرية . . . ولمكنها بوسيلة هذه الفرق أن تدأب ثورة تقوم فى

المدينة اذا ما تسربت انباء الهزيمة . وقد اعدم من حاولوا اثارة الفتنة .  
ولما جاءت انباء الهزيمة كانت هي سيدة الموقف .

ثم بدأت عقب ذلك تنفذ خططها فيما يخص بالشرق فكانت خطوتها الاولى تثبيت معاهدتها مع ملك ميديا . ولعلنا نذكر أن ابنها الاكبر من أنطوان وهو اسكندر هليوس تزوج من بنت ملك ميديا . وكان من الممكن أن يصبح وريث مملكتي ميديا وأرمينيا . وكانت الاميرة الصغيرة تعيش اذ ذاك في الاسكندرية .

اما خطوتها التالية فكانت القضاء على ارتقسد ملك أرمينيا المخلوع الذي كان أسيرا بالاسكندرية عقب هوكب النصر في عام ٣٤ ق م . حتى تقطع خط الرجعة على أوكتافيوس فلا يعيده الى مملكته . وقد ارسلت رأسه الى ميديا دلالة على اخلاصها .

اما خطوتها الثالثة فكانت نقل سفنها من البحر الابيض الى البحر الاحمر كما رأت أن تقوم ببناء سفن أخرى في السويس حتى تتصل بالشرق عن ذلك الطريق وربما عاودتها أحلامها القديمة في هذه الفترة . . .  
وكانت ميديا وبارثيا والهند خارج نفوذ روما وكانت ميديا أوثقها وشيخة بمصر . وكانت بارثيا عدوة ميديا تقع بين هذه البلاد الواسعة . .  
فاذا أمكن للأسطول المصري أن يدور حول شواطئ بلاد العرب وأن يتصل بالجيوش الميدي في خليج فارس فإن نوعا من السند سوف يدعم التحالف مع الولايات الهندية وبذلك يمكن اخافة بارثيا .

هذا الى أن هذه البلاد البعيدة تصلح مخبأ أميناً لها ولعائلتها اذا ادلهم الخطب . . . وبعد أن اطمانت على ولدها اسكندر بإرساله الى مملكته المستقبلية ميديا بدأت تفكر في ارسال ابنها قيصرين الى الهند ليمهد الطريق لاقترب أسطولها . ولم يلعب أنطوان في هذا كله دورا واحدا بل كان يجول على شواطئ باربيوتينام وهو ينوء تحت أعباء الحزن والألم واليأس وخيانة قواده واصدقائه على السواء وهجرهم اياه . ولكنه عاد الى الاسكندرية في نوفمبر فاذهله نشاط الملكة . وحاول أن يثبط همتها من ناحية الشرق موهبا اياها أن الحاميات المختلفة ما زالت على ولائها . كما تحدث اليها يحدوه الرجاء في أن يقوم بينه وبين أوكتافيوس سلام تامن به على عرشها وبهذه الطريقة أراد أن يصرفها عما تعتزم اتيانها من الامور . أما هو فقد أراد أن ينسحب من الحياة العامة ليحيا في إحدى المدن الكبيرة مثل اثينا كمواطن عادي وأدرك كيف قابلته باحتقار فرأى أن يتركها للقدّر كما رأت هي انها قيصرون يخطو نحو الرجولة ورات نشاطه في شبابه يعدل مائة رجل مثل أنطوان .

ولكن حادثة صغيرة أوجبت انفاذ مشروعاتها اذ اغار بعض العرب على السويس ودفعوا الجيوش المقيمة هناك امامهم وأحرقوا بعض السفن التي أتت بها من البحر المتوسط والتي صنعت هناك وكان هذا مما جعلها ترجى السير في مشروع الشرق . ثم وصل كانديدوس عقب ذلك الى الاسكندرية يحمل أنباء تسليم جيوش أنطوان في كل النواحي الى أوكتافيوس وذكر أنه لم يبق أمامه سوى مصر وجيوشها . . . وكان على أنطوان أن ينتحر ولكنه أصر على أن يعيش كما فعل تيمون الأثيني ( عدو كل الرجال ) . وأصبح لنفسه أحد المباني القديمة ليعيش فيه . وكانت لدى كليوباترة مشاغلها الخاصة فلم تكثر بما يفعله زوجها وهو بدوره سره ألا تلتقى اليه بالا فإن ذلك ينقذه من نظراتها ولسانها . وكان يستطيع من مسكنه الجديد أن يرى قصرها وأن يعرف مدى نشاطها ومحاولتها الاتصال بالبلاد المجاورة لتوثيق أو إصر الصداقة معها . وكان عليها أن تحكم البلاد حكما حازما في هذه الايام العصيبة . وأن تفرض ضرائب ضخمة حتى يتوافر لها المال . وكان من المتوقع أن يفرض أوكتافيوس مصر بين يوم وآخر ولكن ضالة موارده المالية أخرت هذه العملية . فغير البحر الى آسيا الصغرى بعد زيارته لاثينا وقام بعمل الترتيبات اللازمة ليتقدم نحو سورية ثم مصر حين يهيء المال اللازم للقيام بهذه الحملة .

وعند نهاية عام ٣١ ق م . قدم هيرودوس الملك اليهودي الى الاسكندرية ليبحث موقف أنطوان صديقه القديم وسنده . ولعلنا نذكر كراهية هيرودوس لكليوباترة ورغبته في قتلها حين كانت تمر في بلادها . ويحدثنا يوسفوس أنه تحدث مع أنطوان بصدد تدبير مقتلها وأن هذا هو الامل الباقي لانقاذه ولكن أنطوان لم يقبل ذلك . أما فكرة هيرودوس فكانت تتلخص في التخلص من هذه الملكة المتعصبة التي قد تلعب على أوكتافيوس دورا عاطفيا فتستعيد أملاكها السورية والمصرية وهكذا تتأخم المملكة اليهودية مملكة معادية يخشاها . فلما يس من موافقة أنطوان على المؤامرة عاد الى بيت المقدس وأبحر الى رودس ليقيم ولاءه الى أوكتافيوس . فحين سمع أنطوان ذلك أرسل وراءه الكسيس راجيا اياه الا يتخل عن معونته . وكان الكسيس هذا يسأل أنطوان دائما أن يطلق أوكتافيا . وكانت كليوباترة توحى اليه دائما بما تشاء حتى يصبه في آذان أنطوان فينفذه هذا . ولكنه في هذه المرة لم يكن سفيرا خيرا مخلصا فلم يعد الى مصر من بلاط هيرودوس بل وضع نفسه في خدمة أوكتافيوس . ولكن علاقته بموضوع طلاق أوكتافيا لم يكن لئسأه أخوها فجوزى على خيانتة

بالقتل • أما هيرودوس فقد أعلن أمره بوضوح وأمن له عرشه برغم أن الملوك الذين ثأروا أنطوان نزلوا عن عروشهم •

وفي أوائل فبراير عام ٣٠ ق م • عاد أوكتافيوس إلى إيطاليا ليخمد بعض القلاقل التي نشبت على أثر عدم القسرة على دفع الاموال للجيش. المسرح • ومكث هناك قرابة الشهر ثم أبحر إلى آسيا الصغرى مرة أخرى في مارس •

### - ٣ -

كانت الاحتفالات بعيد ميلاد قيصرين تقام في منتصف إبريل لبلوغ السابعة عشرة من عمره وقد اعتزمت كليوباترة أن تقيم احتفالات رائعة لتبين أن قيصرين بلغ مبلغ الرجال الناضجين وبلغ السن المناسبة ليصبح ملكا • ولما وصلت هذه الأنباء إلى أنطوان في عزلته ضايقته كثيرا فقد كان قيصرين وحقوقه سبب خرابه ونكسته ومن المؤكد أن جسارة الملكة أزعجته وها هي ذي الاسكندرية تستعد لاقامة الاحتفالات لمنافس أوكتافيوس الذي يدعي عرش قيصر واملاكه • • أكانت هذه الحركة سياسية حازمة أم تحديا ؟ • ترك أنطوان عزلته وبدأ ينافس كليوباترة وفهم منها أنها تريد أن تتخلي عن الكثير من نفوذها وسلطانها إلى ابنتها تاركة للشباب أن يتم ما لم يقو عليه الكهول • وكان ابنه أنتلوس الذي جاءه من زوجه فولفيا أصغر من قيصرين بعام واحد وكان يعيش في القصر السكندري واتفق أنطوان مع كليوباترة أن يعلن يلوغ الاثنين ويسمح لأنتلوس أن يلبس الزي الشرعي للرجل الروماني • ويظهر أن كليوباترة خيرت زوجها بين أن يخرج عن كراهيته للناس وعزلته فيساعدتها في تنظيم خطط الدفاع وبين أن يترك مصر كلها • وكان أنطوان قد مل العزلة ومشمها ففرح بمغادرة مكان عزلته واستقر مرة أخرى بالقصر وحاول مع كليوباترة أن يستعيد علاقتهما القديمة • ولقد فكر كثيرا في أخطائه فصاشر زوجته بشيء من التحفظ والتشكك والاتهام • أما هي فلم تعد ترضى أن يكون ندا لها وإن عاملته بشيء من الشفقة وإن ازدردته في صميمها •

وأقيمت الحفلات وصحبت المدينة أياما عدة ونسي الناس أمر العاصفة المقبلة وكان من الصعب على الزائر أن يصلق أن يحكام هذه المدينة هزمهم. منذ وقت قريب عدو على وشك أن يطرق أبواب مدينتهم • وبرغم قلق كليوباترة وحزنها احتفظت بمظهر مرح • أما أنطوان فقد تفتحت شهيته للمرح مرة أخرى ودعا أعضاء النادي الذي كان قد أسسه من قبل ليسجلوا

أسماءهم في ناد جديد أطلق عليه اسم « جماعة الذين يموتون مما » .  
والحق أن أنطوان لم يكن يميل إلى الموت بل كان يمتقه وكان يؤد لو سمح  
له أن ينسحب كما فعل ثالث الثلاثة ليبدو .

أما كليوباترة فكانت مستعدة لاحتمال ما تأتي به الاقدار . . . سواء  
كانت كارثة أو موتاً . . . ووصلت أبناء عودة أوكتافيوس من آسيا الصغرى  
إلى الاسكندرية فبدأت تجمع أنواع السموم وتوجه إلى السجن لتجربها  
في المجرمين بنفسها وأخذت تفحص بدقة أثر تلك السموم وتستبعد منها  
ما يسبب ألماً عنيفاً وتستحسن من الأنواع التي تخلص الإنسان من حياته  
في سهولة ويسر . . . وجربت أثر الأفاعي السامة في الإنسان والحيوان على  
السواء . . . ويحدثنا بلوتارك أنها لم تجد خيراً من الصل الذي يسرى سسه  
في الجسد فيجلب ناعماً لذيقاً وخدراً ولا يترك انفعالات على الوجه كما  
لا تحسن الفريسة معه بأى ألم .

ولقد قدرت إذا ساءت الأمور أن تنهى حياتها بهذه الوسيلة . ثم  
انصرفت بعد قريرها هذا إلى المشاكل التي كان عليها أن تواجهها .

وفي مايو سار أوكتافيوس إلى سورية حيث سلمت له جميع الحاميات  
وأرسل كورنيليوس جالوس ليقود الفرق التي سلمت إلى شمالى إفريقية .  
 واحتل هذا الجيش باريوتينام التي كان أنطوان قد لجأ إليها بعد اكتييوم .

وفي نهاية مايو أرسلت كليوباترة ابنها قيصرين مع مريه رودون  
إلى قفط . . . وعبر من هناك الصحراء إلى ميناء برينيس في نهاية شهر  
يونية . . . وكان من المتفق عليه أن يبحر مع التجار حين يقومون برحلتهم في  
أواسط يولية إلى البلاد النائية لتكون له علاقة بملوك هندستان وليرتب  
نوعاً من الامتزاج بين هذه الأمم الشرقية الذي طامح راود كليوباترة في  
إحلامها .

أما كليوباترة فبقيت في الاسكندرية لتفاوض أوكتافيوس للإبقاء على  
عرشها فإذا فشلت في ذلك فلتحاربه حتى تموت . ولم يخطر لها الهرب  
على بال كما لم يخطر ببالها من قبل أن ترافق ابنها . ولعل هذا الفراق  
كان من أشد الأحداث التي مرت أيلاماً لها . . . . وهي التي كرسست جهودها  
من أجل سلامة ومن أجل تأمين حقوقه زهاء السبعة عشر عاماً . . . أما اليوم  
فهى تسلمه إلى أيدي التجار الهنود ليعبروا به البحار المخيفة حتى تنقذه  
من براثن مناقسه الظافر أوكتافيوس في حين تبقى هي لتحسار العدو  
وجها لوجه من أجل العرش . ولنا أن نتخيلها تعود بها الذاكرة إلى أيام  
إبيه يوليوس قيصر الذي التمسث إلى صورته الإلهية أن يعاون ابنه على  
الأرض . . . . ووريثه .

حاولت كليوباترة وأنطون أن يفاوضا أوكتافيوس حين رآياه يستعد في يونية عام ٣٠ ق.م. في أثناء اقامته في سورية لفزو مصر . فأرسلوا إليه يونانيا يدعى يوفرينوس ( وكان مربيا لأحد الأمراء الصغار ) برسالة طلبت فيها كليوباترة مقابل تسليمها أن يستولى قيصران على العرش . أما أنطون فالتمس أن يعيش كمواطن في الاسكندرية أو أثينا . وأرسلت كليوباترة مع هذا الرسول تاجها وصولجانها وعربتها الرسمية بأمل أن يعيدها أوكتافيوس جميعها إلى ابنها - إن لم يكن إليها - ولكن هذه السفارة كانت فشلا جزئيا فقد أبى أوكتافيوس أن يصفى إلى أية مقترحات بخصوص أنطون . . . . أما بالنسبة لكليوباترة فقد أرسل رسالة سرية مع أحد رجاله المدعو ترسوس يبين فيها حسن استعداده من ناحيتها وأنه يميل إلى ترك مصر لها إذا سمحت بقتل أنطون .

والواقع أن أوكتافيوس لم يكن يميل إلى اظهار أى لون من ألوان الرحمة نحو كليوباترة إنما كان يرمى إلى خداعها . . . فانطون يجب أن يقتل - إن لم يجرؤ على الانتحار - وقيصران - منافس أوكتافيوس - يجب أن يلقي المصير نفسه . وكليوباترة يجب أن تؤمر حية حتى تمثل في موكب النصر . ثم ترسل إلى المنفى وتسقط ولادها وثروتها في يديه . وسنرى في كل معاملاته مع الملكة الرغبة القوية في أسرها حية . . . في حين نرى في علاقته بأنطون حقدا دفيناً وعداوة شديدة .

وكان ترسوس رسول أوكتافيوس شخصية دبلوماسية ذا حذق وذكاء . أمكنه أن يناقش الموقف من جميع نواحيه مع كليوباترة التي أولته عناية خاصة واختلت به طويلا وأظهرت نحوه عطفاً كبيراً . ولم يكن يسمح لأنطون أن يحضر اجتماعاتهما مما أثاره وأورثه الكثير من الهم والشك . وليس من المحتمل أن تكون كليوباترة قد وافقت على قتل زوجها وإن كانت الظروف قد جعلتها لا تمانع في أن ينتحر . وربما ناقشت مع ترسوس الوسائل التي يمكن اتخاذها لتذكيره بالتزامات الشرف .

وقد سرى لفظ كثير عن محاولة أوكتافيوس خلق علائق عاطفية معها مما أغضب أنطون فدبر مكيده لترسوس وإعاده إلى أوكتافيوس بخطاب يفسر فيه موقفه . وكان هذا الحادث مما أدخل السرور إلى نفس كليوباترة إذ اتخذته برهانا على الرجولة الكامنة في زوجها . ويظهر أنها كانت تتوق لتثبت له أنها لا تخونه كما كانت تتوق لتكشف أوراقيها لأوكتافيوس .



ولما احتفل بعيد ميلادها في الشتاء السابق من الاحتفال ببساطة  
٠٠ ولكن لما حل موعد الاحتفال بعيد أنطوان أقامت احتفالات رائعة ومنحت  
هدايا فخمة لكل أولئك الذين نعموا بصيافتها ٠ وكأنما أرادت أن يعرف  
الجميع أنه ما دام أنطوان يلعب دور الرجل ٠٠ وما دام سيدخل الحركة  
الآخرة بروح المغامرة التي تمتاز بها تصرفاته فإنها ستقف الى جانبه حتى  
النهاية ٠٠ النهاية المحتومة المبررة كما كان ظاهرا ٠٠٠

وبعد أن طرد ترسوس بدأ ينشأ نوع من التفاهم الودي بينهما  
وبدا أنطوان يعاود نشاطه القديم ٠ فلما سمع أن جيشا تحت قيادة  
كورنيليوس جالوس في طريقه خلال برقة نحو حدود مصر الغربية أسرع  
بسفن قليلة نحو البارو تونيم ليؤمن الدفاع عن هذه الناحية ٠ ولكن  
حين نزل الى البر واقترب من أسوار القلعة ونادى قائدها يستدعيه ٠  
زدت الطبول النداء من الداخل فخرجت الحامية وطاردته ورجاله الى  
الميناء واشتعلت النيران في بعض سفنه فأبعدته عن الشاطئ ٠ ولما وصل  
الى الشاطئ سمع أن أوكتافيوس يقترب من الفرما على حدود مصر  
الشرقية بجيش تحت قيادة ضابط يدعى سلوكاس ٠ ووصلت الأنباء الى  
منتصف يولية أن هذه القلعة سلمت ٠

وكانت أعصاب أنطوان نائرة فاتهم كليوباترة بالخيانة وبأنها  
تفاهمت مع سلوكاس على تسليم القلعة الى أوكتافيوس ولكنها أنكرت  
التهمة ٠٠ ولكي تثبت صدقها أمرت بزوجة وأبناء سلوكاس أن يسلموا  
الى زوجها ليقتلهم إذا ثبت أنه كانت هناك مخابرة مع الخائن مما دحض  
التهمة عنها نهائيا ٠٠

ثم عاودت أنطوان شكوكه فأرسل رسوله يوفرينوس الى أوكتافيوس  
ومعه أنتلوس الصغير ومبلغ من المال ليرشو به العذر ٠٠ أما أوكتافيوس  
فقد أخذ المال ولكنه لم يصغ لدفاع أنتلوس عن والده ٠٠٠ وقد ضاقت  
هذه السفارة كليوباترة اذ عجبت كيف تصل الحطة برجل الى درجة  
أن يبيع نفسه بالنهب - ذهب امرأته - كما ضايقها كذلك أن أنطوان  
أرسل الى أوكتافيوس الشيخ توروليوس مصفدا في الأغلال ( وكان أحد  
قتلة يوليوس قيصر وآخر الأحياء منهم ) ولم يسلمه اليها ما دام ابنها  
هو وريث قيصر ٠٠٠ وكان معنى إرساله الى أوكتافيوس اعترافا ضمنيا  
بأنه ممثل الدكتاتور ٠ وقد قتل أوكتافيوس توروليوس ولما رأى أنطوان  
ذلك عرف أن قلب أوكتافيوس لا يعرف الرحمة أو الصفح ففكر في  
الهرب الى إسبانيا أو الى أى بلد آخر ٠٠ ولكنه عاد فرأى أن يربط مصيره  
بمصير كليوباترة وأن يقف بجانبها الى النهاية ٠

وبرغم أن موقفهما كان سيئا إلا أنه لم يكن ميئوسا منه . فان الفرق الأربع التي تركت مصر في حرب اليونان كانت بالمدينة وكان جنسده كثيرون من المصريين داخل الاسوار . وكان بالميناء الاسطول الذى عادم اكنيوم ومعنى هذا أن قوة يحسب لها الحساب كانت على استعداد للدفاع عن البلاد وكانت الخزانة تدفع الاجور فكانت الحالة المادية للجند أحسن من حال جنود أوكتافىوس الذين لم تدفع أجورهم لشهور كثيرة .

ولم تكن كليوباترة مطمئنة الى دعوة أوكتافىوس فان ثمن سلامتها كان رأس زوجها وهى لم تكن على استعداد لدفع ذلك الثمن وبرغم أن الظروف كانت تنواطأ عليها لتسلمه الى عدوه فانها استمرت على ولائها له بل كتبت الى أوكتافىوس تتحدها بقولها انه إذا أراد رأس زوجها فيجب أن يتخطى الاسوار ليأخذها بنفسه .

وطبقا لمادة القوم في ذلك العصر كانت كليوباترة قلة بنيت لنفسها مقبرة ومعبدا جنازيا ليضم جثمانها بعد موتها . وكانت تحيط بها ابنة أخرى لأفراد العائلة ورجال البلاط . وكان المبنى لا يقع في الجبانة الملكية بجانب شارع كانوب بل بجوار معبد ايزيس أفروديت ويطل على البحر . وكان الضريح يمتاز بارتفاعه الشاهق وبدقة صنعه وكان يحوى حجرات عدة وصنع من المرمر الجميل .

وقد عزم كليوباترة أن تقيم في ذلك المكان اذا نجح أوكتافىوس في حصاره للمدينة فاذا هُزمت فانها تنتحر . وكأثر لهذا التفكير جمعت كنوزها من الذهب والفضة والابنوس والعاج وكل حليها من اللآلئ والزمرد والاحجار الكريمة ونقلتها الى الضريح فوق المذبح حتى اذا ما انتحرت حرق جثتها مع كنوزها . وبعد أن أتمت استعداداتها عادت الى القصر لتقوم بالدفاع عن المدينة .

- ٥ -

وصلت قوات أوكتافىوس الى الاسوار في أيام يولية الأخيرة وبدأ أنطوان يستعيد قوته وشجاعته فخرج من المدينة وهاجم فرسان أوكتافىوس وشن عليهم هجوما خاطفا ردهم الى معسكرهم ثم عاد الى القصر مغفرا بالتراب ودرعه ملطخة بالدماء ثم لف ذراعيه حول كليوباترة وقبلها أمام كل الرجال ثم قدم اليها أحد ضباطه الذين أبلوا بلاء حسنا في القتال فأهدته الملكة خوذته فخمة وصدريه من الذهب . وفي الليلة

نفسها ترك الرجل صدرته النهبية وهرب الى معسكر أوكتافىوس .  
وفى اليوم التالى أرسل أنطوان رسولا الى أوكتافىوس يتحده فى معركة فردية كما كان قد فعل من قبل فى أكثيوم ولكن أوكتافىوس رد عليه بقوله ان لديه وسائل أخرى للانتحار .

ازاء ذلك عول على أن ينهى الأمر بمعركة برية بحرية حاسمة بدلا من أن يجلس منتظرا نتيجة الحصار . ووافقت كليوباترة على هذه الخطة وأعطيت الاوامر للتعبة العامة فى أول أغسطس .

وفى الليلة السابقة أمر أنطوان خدمه أن يقيموا وليمة عشاء فاخرة والا يدخروا خرا ماداموا سيستخدمون فى القدر سيدا جديداً فى حين سرق خليفة باكوس ميتا فى ميدان الوغى . ولما سمع أصدقائه ذلك بدعوا بيبكون فسارع يقول لهم انه يأمل ألا يموت قبل أن يقسودهم الى نصر مجيد .

وفى أخريات الليل والسكون يسيطر على المدينة ورياح البحر قد سكنت وحرارة الصيف قد هدأت . سمع من بعيد صوت المزمار والغناء وأخذت الاصوات تقترب وسمعت صيحات جموع تردد أغنية باكوس . ثم سكنت الاصوات دفعة واحدة واستنتج الجميع أن رجال باكوس هجروه الى أوكتافىوس .

وحين أشرق النهار خرج أنطوان الى جيوشه عند البوابة الشرقية للمدينة ورتبها على مرتفع من الارض على مسافة قليلة من الشاطئ . ومن هذا المكان راقب أسطوله يخرج من الميناء الكبير متجها نحو سفن أوكتافىوس التى كانت على مبعده ميلين أو ثلاثة شرق المدينة ثم رأى أسطوله يحبى أسطول أوكتافىوس بالمجاديف وينطوى تحت لوائه وتتجه السفن جميعا نحو الميناء الكبير .

ورأى من مركزه المرتفع كل فرسانه يقفزون الى خطوط أوكتافىوس وهكذابقى وحيدا مع المشاة ولم يكن عددهم متكافئا مع العدو . وبنسأسا شديدا فهرب الى المدينة يندد بخيانة كليوباترة ويلطم جبهته ويصب اللعنات على المرأة التى أسلمته الى أيدي أعدائه . ثم رأى جناحها كأنما تخشاه فى سورة غضبه وأسسه أن يلدبها بسيفه وجرأت بأقصى ما وسعها من سرعة مع وصيفتها ايراس وشريمون فى الحجرات الخالية وممرات القصر ثم عبرت الحوش المهجور حتى بلغت الضريح المجاور لمعبد ايزيس .

ويظهر أن كل الموظفين والخدم والحراس هربوا في اللحظة التي ارتفع فيها الصراخ والنذير بأن الاسطول والفرسان قد سلما الى العدو . واندفعت النسوة الثلاث في القساعة الممتعة وهن يفلن الابواب خلفهن ويضعن المتاريس وراءها من مقاعد وموائد القرايين وبعض الأثاث الجنائزى . . . ثم صعدن عقب ذلك الى الغرف العلوية وارتعن فوق الوسائد وهن ممثلات رعبا وفرقا .

والواقع أنه ليس هناك من سبب يدفع الى أن تفكر في امكان خيانة كليوباترة . ولعل تصرفاته اوحى بها الغضب والشك وحدهما . . . وعاد اليه رجاله يحملون اليه نبأ انتحار كليوباترة فانفتحا غضبه وهزمته الصدمة وبدأ يدرك أن الشيء الذي كان يبقى على حياته من أجله قد سلبته ايادى الاقدار فاندفع الى غرفة نومه وفرق ثيابه ونادى عبده ابروس ليعاونه وبدأ يهذى قائلا « أى كليوباترة ! أنا لا احزن الآن لأننى أفترق عنك فسينتقابل عن قريب . . ولكن لعل أشد ما يحزننى أننى لم أوهب الشجاعة التى وهبتها . » ثم طلب الى عبده أن يقتله ولكن هذا أبى الا أن ينتحر مفضلا ذلك على أن يقتل مولاة فانحنى فوقه أنطوان وهو فاقد الشعور قائلا « حسنا فهل يا ابروس » ثم التقط سيفه وقال « لقد أعطيت درسا لمولاك أن يفعل ما لم يساعدك قلبك على فعله بنفسك » ثم طعن صدره أسفل الاضلاع وسقط على سريره . . ولم يكن جرحه مميتا لساعته بل توقف النزيف واستعاد شعوره واجتمع حوله بعض الخدم المصريين . ولما أدركوا أنه لم يمت تركوا الغرفة وحمل بعضهم النبا الى الملكة . . . وبعد لحظات أتى ديوميدي أحد سكرتيرى أنطوان ليخبره أن الملكة لم تنتحر وأنها أمرت أن ينقل جثمانه اليها . . فأمر أنطوان خدمه أن يحملوه اليها . . وكان بعض الناس قد تجمعوا عند باب المبنى ولما رأت الملكة الرجال يحملون جسد زوجها خشيت أن يقبض عليها الرجال حية ليأخذوا المكافأة من أوكتافيوس فلم تسمح بفتح الباب لادخال زوجها بل أمرت بوضعه الى جوار النافذة ثم أمرت بانزال الحبال التى ربط اليها أنطوان وسحبته كليوباترة مع وصيفتها وكان ذلك عملا شاقا مضنيا ولا بد أن بعض الرجال من الخارج ساعدوهن فى رفع جسده الى أعلى . . ثم حملته الى السرير وبدأت كليوباترة تبكي وتمزق ثيابها . كما حاولت أن توقف النزيف فتلطخت رقبته ووجهها بالدماء وارتمت الى جانبه تناديه « بسيدى وزوجى وامبراطورى » . . وكان عذابه المرير مما أثار شفتها وأحيا حبها القديم له . ثم عاد الى شعوره فسقته بعض الخمر حين طلب اليها ذلك . . وحاول حين أفاق أن يهذى من لوعتها

سائلا اياها أن تحاول الاتفاق مع أوكتافيوس وأن تنق من بين اصدقاء  
الغازي جميعا برجل يدعى بروكليوس وسألها وهو يلفظ أنفاسه الاخيرة  
ألا تترى له اذ استدار عنه القدر وانقلبت عليه الدنيا بل تحيا في ذكرى  
عزه السالف حين كان أقوى الرجال وأنبهم ذكرا ثم شق شقيقته الاخيرة  
بين ذراعي المرأة التي تركها وحيدة لتكافح من أجل عرشها وعرض ابنها •

- ٦ -

كانت كليوباترة في هذه الآونة في أشد حالات متاعبها ولطخات  
الدماء التي لوئتها امتدت الى السرير كما انتشرت فوق ملابسها المحرقة •  
وكانت رصيفتها شرميون وايراس تضربان صدريهما وتمولان • وكان  
تحت النافذة جماعة من المصريين والرومان •

وكان الوقت مبكرا قبل العصر وكانت شمس أغسطس اللافحة  
تضرب في جوانب الحجرة • وكانت الاصوات تسمع من بعيد منبهة  
ب اقتراب العدو من القصر • وكانت تتوقع في كل لحظة أن يطلب اليها  
أن تسلم أو أن يقبض عليها ولكنها أصرت على ألا تسلم أسيرة بل أمرت  
أنه اذا جاء النذير أن تشمل النار في المذبح فتقن مع حليها ومقتنياتهما •

ولم يمر زمن طويل قبل وصول بروكليوس يسألها باسم أوكتافيوس  
أن تسمح بلقائه وتحدث اليه من وراء الابواب مظهرة له استعدادها  
للتسليم اذا جاءها من أوكتافيوس ما يؤكد لها بقاء مصر لقيصرون • •  
ولكن بروكليوس لم يعد بشيء ما • وعاد الى مولاه يصف مركز الملكة  
• • فارسل أوكتافيوس معه كورنيليوس جالوس الذي قصده لتوه باب  
الضريح ونادى الملكة التي حدثته من وراء الباب المغلق • وأخذت الخادمتان  
تسترقان السمع وهكذا تركتا مكان الحراسة عند النافذة فانهز  
بروكليوس الفرصة ودار حول البناء وثبت ساجا من الخارج وصلعن  
طريقه الى النافذة يتبعه ضابطان رومانيان آخران • وجرى عبر الغرفة  
غير مكترث بجسد القتل وخرج الى السلم • وقابل عند نهاية الدرج  
شرميون وايراس كما رأى عند الباب المغلق كليوباترة وظهرها اليه •  
فصرخت إحدى المراتن حين رأت بروكليوس ونادت كليوباترة قائلة  
• أي كليوباترة العسة • • • لقد أسرت • فقفزت الملكة واستملت خنجرها  
لتقتضيه به على نفسها ولكن بروكليوس أسرع فأمسك بمعصمها وأسقط  
الخنجر من يدها الصغيرة وأمسك بفراعيها وأمر الرجلين أن يهزا ملابسها





الأسبق ( قيصر ) وبكت متمنية لو كان حيا .. وقد واساها أوكتافىوس ما وبمه ذلك ووعده لقاء عطفه عليها أن تسلمه كل ما تملك .. وكان احد خدمها سلوكاس يقف بجانب المذبح فى انتظار أمرها فاستدعته وأمرته أن يسلم أوكتافىوس كل حليها ومجوهراتها المسجلة فى قائمة من القوائم .. وقد أراد الخادم أن يظهر ولاءه لأوكتافىوس كسيد جديد فتطوع للدلاء ببيان أشياء أخرى لم تكن مذكورة بالقائمة بل خبائها الملكة من قبل .. فقفزت من سريرها وأمسكت الخادم من شعر رأسه وهزته الى الامام والى الخلف ولطمته على وجهه وهذا أوكتافىوس روعها فتعللت بأنها انما أخفت هذه الاشياء لتهدئها لاخته أوكتافيا ولزوجه ليفيا فسمح لها بأن تحتفظ بما تشاء . وسره فى صميمه ألا تفكر الا فى الحياة ليتاح لها عرضها فى موكب النصر مكبلة بالاعلال وان لم يكن فى نيته أن يقتلها .

وقد أدركت كليوباترة بعد خروج أوكتافىوس ما ينتويه وقدرت ما سوف يحل بها كما عرفت أن لا أمل هناك يرجى من بقاء العرش لقيصرين وأن مصر أصبحت لروما وأن هذه هى نهاية أسرة البطالمة .. وأنه ليس هناك ما يدعو لبقائها على قيد الحياة .

واناها دولابلا وانباها بأن أوكتافىوس يرى نقلها الى روما مع طفلها فى خلال ثلاثة أيام . وأنه ينوى قتل قيصرين حين يقع على أثره .. فعولت على الانتحار حين تخيلت نفسها فى موكب النصر وعادت يذكرتها الى الورا حين كانت أختها أرسينويه تعرض فى موكب نصر قيصر .. وتخيلت سخرية الرومان وهزمهم ، هؤلاء الرومان الذين كانت تقدر أن تحكم بلادهم يوما من الايام .

ولما استقر هذا العزم فى خاطرها أرسلت رمولا الى أوكتافىوس تستأذنه فى زيارة قبر أنطوان .. وفى صبيحة اليوم التالى التاسع والعشرين من أغسطس حملت فى حفاة الى القبر وبصحبتهما وصيفاتها وألقت بنفسها فوق احجار القبر وهى تحتضنها قائلة والألم يخترمها . أيها العزيز أنطوان ، لم يمض وقت طويل منذ أن دفنتك بيدي هاتين .. كنت حرة اذ ذاك .. أما الآن فأنا أسيرة . وأنا أقوم بهذه الواجبات الاخيرة نحوك وأنا مخفورة خوفا من أن تدفعنى أحزاني الى أن أسوء الى هذا الجسد فأحرمه من أن يعرض فى موكب الانتصار عليك . لا تنتظر منى تقديمات أخرى فان هذا هو آخر ما يمكن لكليوباترة أن تقدمه اليك لانها يجب أن تؤخذ بعيدا عنك . لم يفرقنا شئ . ونحن احياء . ولكن يظهر



أن الموت يهددنا بالثرقة • أنت كروماني وجدت قبراً في مصر •• أما  
أنا كمصرية فأنى سأبحث عن قبر لى فى بلادك. اذا كانت الالهة السطرية  
التي تسكن اليوم معها ستعمل شيئاً لى ما دامت الالهة العليا قد تخلت  
عنى فلا تسمح لزوجك الحية أن تهجر • لا تدعهم يقودونى فى النصر  
من أجل عارك ولكن خيئى •• خيئى • دعنى أدفن هنا معك •• فإنه  
من بين كل ما قاسيت فى حياتى ليس هناك أسوأ مما أنا فيه اليوم •  
وليس هناك أسوأ من تلك الفترة التي أقضيها بعيدة عنك •• ثم نهضت  
ووضعت الزهور فوق قبره وركبت محفتها •• وعادت الى غرفتها ••  
وحين وصلت هناك أمرت بتجهيز الحمام وبعد أن اغتسلت وتغطرت تناولت  
طعامها وكتبت خطاباً الى أوكتافيوس تسأله أن تدفن مع أنطون •• وحالاً  
أرسلت خطابها أمرت الجميع أن يتركوا الضريح عدا ايراس وشرميون  
كانما لا تريد أن يزعجا أحد فى ساعة القيلولة •• ولما قرأ أوكتافيوس  
خطابها توقع ما سوف يحدث فأسرع الى الضريح ولكنه عاد فغير رأيه  
وأرسل بعض ضباطه الذين فتحوا الابواب فرأوا كليوباترة ميتة فوق  
سريرها الذهبى فى زينا اليونانى الملكى ومزينة بالجواهر الملكية وعلى  
رأسها شعار البطالة وتحت قدميها كانت ايراس تلفظ أنفاسها الأخيرة  
أما شرميون التي لم تكن تقوى على الوقوف فكأنت تحاول أن تثبت تاج  
الملكة فوق رأسها •• فسألها أحد الضباط أيجمل هذا بسيدتها ؟ فقالت  
إن هذا يجمل بسليلة الملوك ثم سقطت ميتة بجوار الملكة •

ووصلت الأنباء الى أوكتافيوس وعلم عن طريق الحراس أن فلاحاً  
أتى يحمل سلة تين سمح له بدخول الضريح فتحول الظن الى أن صلاً كان  
متخفياً فى سلة التين •• فبحث عنه وأخيراً ذكر أحد الجنود أنه رأى أثر  
ثعبان متجهاً من الضريح الى البحر •• ولم يبين فحص الجثة سوى  
لسعتين خفيفتين على الفروع ربما نجمتا عن عضه ثعبان •

ويقال إن قصة الثعبان لا أساس لها من الصحة وأن الموت حدث  
كأثر لسم وضع فى تجويف أحد أسنان مشط شعر أو أية أداة أخرى ••  
ووصل أوكتافيوس واستدعى أطباء الافاعي ليمتصوا السم من  
الجرح ولكنهم وصلوا بعد فوات الوقت •• وحزن أوكتافيوس لفشله ولعله  
كان متيقناً من موتها نتيجة لعضة الثعبان إذ مثل صورتها فى موكب النصر  
فيما بعد •• وحول ذراعها ثعبان •

ثم أمر أوكتافيوس أن تدفن بكل مظاهر التعظيم بجوار أنطون •  
وكان قد أرسل لتعطيل قيصرين فى برينيس ويظهر أن مربيه رودون

نصحه ان يسلم نفسه لأوكتافيوس فعاد الى الاسكندرية بعد موث  
كليوباترة بوقت قصير فأمر أوكتافيوس التو بقتل قيصرين بحجة أنه  
من الخطر بقاء قيصرين في العالم معا على قيد الحياة . وهكذا مات آخر  
البطالمة الفرعيتين في مصر وهو الابن والوارث الحقيقي الوحيد ليووليوس  
قيصر . أما الطفلان الآخران بطليموس وكليوباترة سيلين فنقلا الى روما  
بأسرع ما أمكن كما أرسل الرسل الى ميديا لأسر اسكندر هليوس .

- ٨

لم يشأ أوكتافيوس أن يضم مصر الى روما بل اعتزم أن يجعلها من  
الملكيات الشخصية حتى لا يثير المصريين . . . واتفق مع الكهنة على أن  
يعلمن وريثا ليووليوس قيصر في عرش البطالمة وسرعان ما تقيله المصريون  
كمولى لهم . ونرى اسمه على الحوائط « كملك للوجهين القبلي والبحري  
.. ابن الشمس . . . قيصر الذي يعيش الى الأبد . . . المحبوب من فتاح  
وايزيس » كما أطلق عليه لقب أوتوقراط الذي أخذه عن أنطوان والذي  
كان في نظر المصريين لها ملكيا وراثيا يكتب داخل الخرطوش الفرعونى . .

وعلى هذا فإن خلفاء أباطرة الرومان أصبحوا ملوكا على مصر .  
وكان كل امبراطور حين يعتلى العرش الرومانى يمجّد كحاكم لمصر ويسمى  
في النقوش المصرية ثرعون وابن الشمس . وهكذا رضى المصريون أن  
يصبحوا لا موالى لروما ولكن رعايا للملك الذي اتفق أن كان امبراطورا  
على روما .

وهكذا وجدت الامبراطورية المصرية الرومانية التي تالتت كليوباترة  
الى تحقيقها . وقد عرف كل أباطرة روما في مصر لا كحاكم لامبراطورية  
أجنبية كانت مصر جزءا منها . بل فراعنة لأملاك مصرية كانت روما  
جزءا منها . .

ولقد عامل أوكتافيوس ذكرى الملكة بكل ثجلة واحترام فلم يسمح  
بالقاء تماثيلها . . اما كنوزها وصحفها وأكوابها الذهبية والفضية فقد  
حوالت الى نقود دفعت منها أجور الجنود الرومان . واستولى على القصور  
والاملاك الملكية . ولما عاد أوكتافيوس الى روما في ربيع عام ٢٩ ق.م .  
كان قد أصبح رجلا ثغيا جدا .

وفي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من شهر أغسطس  
من العام نفسه أقيمت احتفالات النصر :

أما اليوم الأول فقد خصص للفتوح الأوربية .

وأما اليوم التالي فقد جعل يوم لكتيوم .

وأما اليوم الثالث فكان يوم الانتصار على مصر . . . وقد جر تمثال  
كليوباترة والصل على ذراعها في شوارع العاصمة وسار ابنها إسكندر  
هليوس وكليوباترة سليلين في موكب النصر كاسرى وعرضت لوحات  
تمثل نيلوس ومصر . وأهيل المجد والثناء على أوكتافيوس ومنح لقب  
أغسطس وأطلق عليه الإين المقدس ما دام وريث قيصر المقدس . . . وقد  
سره أن يعيش في ذكرى الدكتاتور الذى أصبح واحدا من آلهة الرومان

ووجد أبناء أنطون من كليوباترة ملجأ أمينا في بيت أوكتافيا  
زوجه المهجورة وكان ذلك عملا حازما من جانب أوكتافيوس فإن قتل  
الأطفال كان مما يثير المصريين . وما دام أوكتافيوس قد أصبح الوريث  
الشرعى للغرش وليس مفتصبا أجنبيا فإن أخته هي التى تؤوى العائلة  
المالكة

وقبلت أوكتافيا هذا الوضع بكثير من العطف والنبل ونشأت الأطفال  
مع ابنتيها أنطونيا الكبرى والصغرى ويوليوس أنطونيوس الابن الثانى  
لأنطون من فولفيا وشقيق أنتلوس القليل .

ولما كبرت كليوباترة سليلين تزوجت من جوبا ملك نوميديا الذى  
أصبح فيما بعد ملكا على مورتانيا . وقد سمي ابنهما بطليموس وخلف  
أباه حوالى عام ١٩ الميلادى . .

ولا ندرى ماذا حدث لاسكندر هيلوس أو لأخيه بطليموس ولكن  
تاسيتوس يحددنا أن اسكندر فيلكس والى اليهودية في عهد نيرون تزوج  
( كزوجة ثانية ) دروسيللا حفيدة كليوباترة وأنطون التى ربما كانت من  
عائلة مورتانية أخرى . وماتت أوكتافيا عام ١١ ق.م. وقتل ابن أنطون  
المسمى يوليوس أنطونيوس عام ٢٢ ق.م. لملاقته الشائنة مع جوليا ابنة  
أوكتافيوس . أما هي فنفيت إلى جزيرة ناندا تيريا القاحلة . أما أوكتافيوس  
فمات عام ١٤ الميلادى وخلفه على عرش مصر وروما ابنه تيبيريوس .

ولقد ظهر أثر الاسكندرية في الحياة الرومانية واضحا جليا في  
السنين الأخيرة من حكم أوكتافيوس أو أغسطس . . . فقد سافر الفنانون

والصناع عبر البحر الى إيطاليا كما كان يسافر كثير من الملوك الرومان الى أملاكهم في مصر . وكانت النقوش المصرية والفنون المصرية ترى في كل بيت . وكان الشعر السكندري والادب السكندري شائعا بين الطبقات الراقية . . وكانما كانت روح كليوباترة توحى بسياستها من الصالح الآخر . وكانما تأسست الامبراطورية التي كانت تطمح كليوباترة في تأسيسها بكل ظروفها . . وأن حكمها خط ملكي من أوكتافيوس ابن أخت قيصر لا قيصرون نفسه ابنه . . . ولكن كليوباترة نفسها أصبحت عنوة لروما المستشرقة فلم يدخر كتابها ومؤرخوها وسعا في تلطيخ اسمها مما كان أساسا لكل المطاعن التي كملت لها فيما بعد . .



# الفهرس

الموضوع	الصفحة
اهداء .. .. .	٣
بين بطليموس وقيصر .. .. .	٥
بين قيصر وأنطوان .. .. .	٢١
الامبراطورية المصرية .. .. .	٣٧
أكتيوم .. .. .	٥٧
أكتافيرس فى مصر .. .. .	٧١

الدار القومية للطباعة والنشر





2.021

092

توف

ت

الدار القومية للطباعة والنشر

العدد ٨٢

ص

التمن ١٥